الأزمة الغذائية
على عهد سيدنا يوسف عليه السلام
المشكلة – الحل – دروس مستفادة
مع إعطاء نموذج تطبيقي من الواقع المعاصر

دكتور/ أسامة السيد عبد السميع(*)

تقديم:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد

(١) فإن من ينظر في القرآن الكريم يجده أنه كتاب دنيا وآخرة، وهو صالح لكل زمان ومكان، ما ذلك إلا لكون هذا الكتاب خاتم الكتب السماوية، فكان لابد أن يكون حاويًا لكل شيء قال تعالى: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ﴾[1] وذلك على عكس الكتب السماوية السابقة كالتوراة والزبور والإنجيل فكلا منهم كان صالحًا لفترة زمنية محدودة ولبيئة مكانية معينة، أما القرآن الكريم فكما سبق هو صالح لكل زمان ومكان وهذا من تشريف الحق تبارك وتعالى لهذه الأمة الإسلامية خاتمة الأمم حتى تجد ضالتها فيه وغايتها منه بجوار السنة النبوية، ففيهما الفلاح والنجاح في إتباعهما، والضلال والغي في غيرهما يقول ﷺ فيما رواه عنه أبو هريرة رضي الله عنه «إني قد تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما كتاب الله وسنتي»[2].

(*) كلية الشريعة والقانون بالقاهرة قسم الفقه المقارن.

(١) سورة الأنعام آية ٣٨.

(٢) أخرجه الإمام الحاكم في المستدرك على الصحيحين، جـ١ ص١٧٢، حديث رقم (٣١٩) في كتاب العلم، وفي نفس المعنى بلفظ متقارب عن ابن عباس جـ١=

(٢) ومن يطالع آيات القرآن الكريم يجد أن الحق تبارك وتعالى قد قسَّمها عدة تقسيمات:

(أ) فمنها أمثال جعلها عبرًا لمن تدبرها.

(ب) ومنها أوامر هدى لمن استبشرها.

(جـ) ومنها نواهٍ سعادة لمن أخذ بها.

(د) ومنها تشريعات وأحكام أفلح من عمل بها، بل وجعلها منهج حياة.

(هـ) ومنها قصص وجعل منها مواعظ، وفيها دروسٌ وعبر مستفادة.

(و) ومنها أيضًا ما هو إخبار بالمغيبات.

(٣) ومن القسم قبل الأخير موضوع بحثنا: الأزمة الغذائية على عهد سيدنا يوسف عليه السلام – المشكلة – الحل – دروس مستفادة مع إعطاء نموذج تطبيقي من الواقع المعاصر.

(٤) فقصة سيدنا يوسف عليه السلام كان فيها دروس وعبر مستفادة ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [١]، ويكفي أن نعلم بأن الحق تبارك وتعالى:

(أ) سمى قصة سيدنا يوسف عليه السلام بأكملها من أحسن القصص قال تعالى تنويهًا عن ذلك: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ﴾ [٢].

=ص١٧١ حديث رقم ٣١٨، تحقيق/مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت الطبعة الأولى عام ١٤١١هـ – ١٩٩٠م.

(١) سورة يوسف آية ١١١.

(٢) سورة يوسف آية ٣.

(ب) أخبرنا بأن في قصة سيدنا يوسف عليه السلام وإخوته آيات وعبرًا ودروسًا حقيقية لمن يتدبر ذلك قال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ﴾ (١).

وسوف نحاول إن شاء الله تعالى من خلال هذا البحث أن نوضح كيف وقعت هذه الأزمة الغذائية في عهد سيدنا يوسف عليه السلام، وكيف أنه بحنكة منه وعقلية اقتصادية ليس لها مثيل خرج منها، وما هي الدروس والعبر المستفادة من هذه القصة، لأن القصص في القرآن لم يذكر على سبيل الحكاية بقدر ما هو للعظة والعبرة قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ (٢). وكيف أنه يمكن الاستفادة من هذه القصة أو أزمة الغذاء التي وقعت في عهده عليه السلام في واقعنا المعاصر، ومن ثم فسوف نعطي نموذجًا تطبيقيًا على ذلك من الواقع المعاصر.

وفي النهاية أسأل الله الكريم رب العرش العظيم أن يجعل هذا العمل المتواضع في ميزان الحسنات يوم القيامة إنه قدير وبالإجابة جدير فنعم المولى ونعم النصير.

(١) سورة يوسف آية ٧.
(٢) سورة يوسف آية ١١١.

خطة البحث:

وقد قسَّمت موضوع البحث إلى : تمهيد ومبحثين وخاتمة.

أما التمهيد فذكرت فيه نبذة تاريخية عن حياة سيدنا يوسف عليه السلام.

المبحث الأول :

أزمة الغذاء ووقائعها في عهد سيدنا يوسف عليه السلام.

المبحث الثاني :

كيفية معالجة سيدنا يوسف عليه السلام لأزمة الغذاء التي وقعت في عهده.

الخاتمة وقد ذكرت فيها :

أولاً : الدروس والعبر المستفادة من أزمة الغذاء التي وقعت في عهد سيدنا يوسف عليه السلام.

ثانيًا : نموذج تطبيقي على ذلك من الواقع المعاصر.

التمهيد
نبذة تاريخية عن حياة سيدنا يوسف عليه السلام

وسوف أتناول في هذا التمهيد حياة سيدنا يوسف عليه السلام إلى أن أصل إلى وقائع أزمة الغذاء في عهده عليه السلام، ولذا ذكرت فيه ما يلي:

(١) نسب سيدنا يوسف عليه السلام .

(٢) رؤيا سيدنا يوسف عليه السلام بسجود الكواكب والشمس والقمر له.

(٣) مكيدة إخوة سيدنا يوسف عليه السلام له وإلقائه في البئر.

(٤) بيع سيدنا يوسف عليه السلام على أنه بضاعة.

(٥) رعاية عزيز مصر لسيدنا يوسف عليه السلام وتربيته له.

(٦) مؤامرة امرأة العزيز بسيدنا يوسف عليه السلام .

(٧) دخول سيدنا يوسف عليه السلام السجن وحبسه رغم براءته.

وسوف نتكلم بإيجاز حول كل عنصر من هذه العناصر.

أولاً: نسب سيدنا يوسف عليه السلام:

هو يوسف بن يعقوب إسرائيل الله بن إسحاق بن إبراهيم عليه السلام، فسيدنا يوسف عليه السلام هو أحد أبناء سيدنا يعقوب الاثنى عشر وهم وكما ورد في كتب التاريخ: بأن سيدنا يعقوب عليه السلام بن إسحاق وهو إسرائيل نكح ابنة خاله ليا ابنة لبان بن بتويل بن إلياس فولدت له:

١- روبيل بن يعقوب وكان أكبر ولده

٢- شمعون بن يعقوب

٣- لاوي بن يعقوب

٤- يهوذا بن يعقوب

٥- زبالون بن يعقوب

٦- يسحر بن يعقوب ودينة ابنة يعقوب، وقد قيل في يسحر أن اسمه يشحر

٧- ثم توفيت ليا بنت لبان فخلف يعقوب على أختها راحيل بنت لبان بن بتويل ابن إلياس فولدت له يوسف بن يعقوب

٨- وبنيامين بن يعقوب وهو بالعربية شداد

٩- وولد له من سريتيه اسم إحداهما زلفة واسم الأخرى ملهة أربعة نفر دان بن يعقوب

١٠- ونفتالي بن يعقوب

١١- جاد بن يعقوب

١٢- أشر بن يعقوب.

فكان بنو يعقوب اثنى عشر رجلاً[١]، وإلى هؤلاء الاثنى عشر رجلاً تنسب أسباط بني إسرائيل كلهم، وكان أشرفهم وأجلهم وأعظمهم يوسف عليه السلام، حيث كان هو الوحيد من بين إخوته الذي نال شرف النبوة بينما إخوته لم يُوحَ إليهم، بينما زعم البعض أنهم كانوا أنبياء مستدلاً بقوله تعالى: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ﴾[٢] ولكن

(١) يراجع في ذلك: تاريخ الأمم والملوك والمسمى بتاريخ الطبري للإمام الطبري جـ١ ص ١٩٠، ١٩١، دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الأولى عام ١٤٠٧هـ، ويرجع أيضًا الكامل في التاريخ للعلاَّمة محمد بن محمد بن عبد الواحد الشيباني والمعروف بابن الأثير جـ١ ص٩٥ وما بعدها، تحقيق أبي الفداء عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية بيروت. الطبعة الثانية، عام ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.
ومن الجدير بالإشارة أن دينة ابنة يعقوب انفرد بها تاريخ الطبري دون الكامل في التاريخ.
ويراجع أيضًا البداية والنهاية لابن كثير جـ١ ص١٩٧، دار الفكر العربي بالقاهرة.

(٢) سورة البقرة آية ١٣٦.

استدلاله غير قوي لأن المراد بالأسباط شعوب بني إسرائيل وما كان يوجد فيهم من الأنبياء الذين ينزل عليهم الوحي من السماء[1].

ومن يتدبر آيات القرآن الكريم يجد أن اسم سيدنا يوسف عليه السلام قد ورد في سبع وعشرين آية، منها خمس وعشرين آية في سورة يوسف، وآية في سورة الأنعام، وأخرى في سورة غافر[2].

ثانيًا: رؤيا سيدنا يوسف عليه السلام بسجود الكواكب والشمس والقمر:

وكما نعلم بأن رؤيا الأنبياء حق، ومن ثم فإن ما رآه سيدنا يوسف عليه السلام من سجود أحد عشر كوكبًا والشمس والقمر كان محل صدق قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَٰجِدِينَ﴾[3]، وتأويلها وكما أخبرنا الإمام ابن كثير في تفسيره بقوله هذه

---

(١) يرجع في نفس المعنى: البداية والنهاية لابن كثير، السابق جـ١ ص١٩٨،١٩٩.

(٢) وهذه الأرقام على الترتيب هي:
(أ) في سورة يوسف: ٤، ٧، ٨، ٩، ١٠، ١١، ١٧، ٢١، ٢٩، ٤٦، ٥١، ٥٦، ٥٨، ٦٩، ٧٦، ٧٧، ٨٠، ٨٤، ٨٥، ٨٧، ٨٩، ٩٠، ٩٠، ٩٤، ٩٩، ويلاحظ أنه قد ذكر مرتين في الآية رقم ٩٠.
(ب) في سورة الأنعام آية ٨٤.
(ج) في سورة غافر آية ٣٤.

(٣) سورة يوسف آية ٤، وبينما يقرر القرآن في هذه الآية بأن سيدنا يوسف عليه السلام قد قصّ رؤياه على أبيه فقط سيدنا يعقوب عليه السلام دون إخوته نجد أن التوراة قد أخطأت لتسجل بأن سيدنا يوسف عليه السلام قصّ رؤياه على أبيه وإخوته فتقول: (فقال – أي سيدنا يوسف عليه السلام – أنني قد حلمت حلمًا أيضًا، وإذا الشمس والقمر وأحد عشر كوكبًا ساجدة لي، وقصَّه على أبيه وعلى إخوته، فانتهره أبوه وقال له ما هذا الحلم الذي حلمت، هل نأتي أنا وأمك وإخوتك لنسجد لك إلى الأرض فحسده إخوته وأما أبوه فحفظ الأمر) يراجع: العهد القديم– سفر التكوين – الإصحاح السابع والثلاثين الآيات ٩–١١.

الرؤيا – رؤيا سيدنا يوسف عليه السلام – يفيد تعبيرها خضوع إخوته له وتعظيمهم إياه تعظيمًا زائدًا بحيث يخرون له ساجدين إجلالاً واحترامًا وإكرامًا[1]، ومن ثم قال ابن عباس وقتادة: الكواكب التي رآها يوسف عليه السلام هي إخوته، والشمس أمه، والقمر أبوه، وقال قتادة أيضًا الشمس خالته لأن أمه كانت قد ماتت، وكانت خالته تحت أبيه[2].

ومن ثم فقد خشي سيدنا يعقوب عليه السلام على ابنه يوسف عليه السلام أن يحدث بهذا المنام أحداً من إخوته فيحسدونه على ذلك فيبغون له الغوائل حسدًا منهم له، ولهذا قال له: لا تقصص رؤياك على إخوتك فيكيدوا لك كيدًا أي يحتالوا لك حيلة يردونك فيها[3].

أحكام الرؤيا[4] في الإسلام:

الرؤيا هي التي يراها الإنسان في منامه، وهي تتنوع إلى ثلاث[5]:

(أ) رؤيا صالحة من الله عز وجل.

(ب) رؤيا قبيحة من الشيطان.

(جـ) رؤيا مما يحدث به المرء نفسه.

(١) فإذا كانت الرؤيا مما يحدث به المرء نفسه، فهذه رؤيا عادية ليس لها حكم من حيث التحديث بها من عدمه.

(٢) أما إذا كانت الرؤيا حسنة فليحمد الله وليحدِّث بها.

---

(١) يراجع تفسير القرآن العظيم للإمام ابن كثير جـ٢ ص٤٧٠، دار الفكر بيروت عام ١٤٠١هـ.

(٢) يراجع الجامع لأحكام القرآن للقرطبي والمسمى بتفسير القرطبي جـ٤ ص٣٤٤٢، دار الغد العربي بالقاهرة، الطبعة الثانية عام ١٤١٦هـ – ١٩٩٦م.

(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير المرجع والمكان السابقان.

(٤) أما الرؤية: فهي الشيء الذي يراه الإنسان حقيقة بعينيه في يقظته.

(٥) يراجع في معنى هذه الأنواع الثلاثة، تعطير الأنام في تفسير الأحلام للشيخ/عبد الغني النابلسي جـ١ ص ٣، – دار إحياء الكتب العربية – عيسى الحلبي بمصر.

(٣) وأما إذا كانت الرؤيا قبيحة فليستعذ بالله ولا يحدِّث بها أحداً فإنها لا تضره ولهذا ثبتت السنة عن رسول الله ﷺ فيما رواه عنه أبو سعيد الخدري رضي الله عنه (إذا رأى أحدكم رؤيا يحبها فإنما هي من الله فليحمد الله عليها وليحدِّث بها، وإذا رأى غير ذلك مما يكره فإنما هي من الشيطان فليستعذ من شرها ولا يذكرها لأحد فإنها لا تضره)[١]، ومن رواية أبي رزين أنه سمع النبي ﷺ يقول: (الرؤيا على رجل طائر ما لم تعبر فإذا عبرت وقعت)[٢].

(٤) في حالة إخبار أو تحديث الإنسان برؤياه الحسنة، فلا يحدِّث بها إلا محباً أو ناصحاً وعالماً بتأويل الرؤى، يقول الإمام الدردير: «وينبغي أن يقص الرؤيا على عالم صالح محب ولاينبغي تعبيرها لغير عارف بها بل وإذا كانت تبشر بنعمة للإنسان، فإنه يؤمر بكتمانها حتى توجد أو تظهر حتى لا يحسد»[٣].

ولذا يقول الإمام القرطبي[٤]: إن قوله تعالى: ﴿قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقۡصُصۡ رُءۡيَاكَ عَلَىٰٓ إِخۡوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيۡدًاۖ﴾[٥] هي أصل في:

(أ) ألا تقص الرؤيا على غير شفيق ولا ناصح، ولا على من لا يحسن التأويل فيها، روى أبو رزين العقيلي أن النبي ﷺ قال: (رؤيا المؤمن جزءٌ من أربعين جزءاً من النبوة، وهي على رجل طائر ما لم يتحدث بها فإذا تحدث بها

(١) أخرجه البخاري واللفظ في كتاب التعبير في باب الرؤيا من الله حديث رقم ٦٤٧٠، تحقيق د.مصطفى ديب البغا دار ابن كثير، اليمامة، الطبعة الثانية عام ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

(٢) أخرجه ابن ماجه في سننه، يراجع سنن ابن ماجه جـ٢ ص١٢٨٨ في كتاب تعبير الرؤيا في باب الرؤيا إذا عبرت وقعت فلا يقصها إلا على وادّ – حديث رقم ٣٩١٤، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي دار الريان للتراث.

(٣) يراجع الشرح الصغير للدرديرج٤ ص٣٠٠ الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية عام١٤٠٥هـ-١٩٨٤م.

(٤) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، السابق جـ٤ ص ٣٤٤٧ وما بعدها.

(٥) سورة يوسف آية ٥.

سقطت. قال: وأحسبه قال: ولا يحدث بها إلا لبيبًا أو حبيبًا)[1] وفي رواية لأبي هريرة: وكان ﷺ يقول: «ولا تقص الرؤيا إلا على عالم أو ناصح»[2].

(ب) وفي الآية دليل أيضًا على إباحة أن يحذر المسلم أخاه المسلم ممن يخافه عليه، ولا يكون داخلاً في معنى الغيبة، لأن يعقوب عليه السلام قد حذر يوسف أن يقص رؤياه على إخوته فيكيدوا له كيدًا.

(جـ) وفيها أيضًا ما يدل على جواز ترك إظهار النعمة عند من تخشى غائلته[3] حسدًا وكيدًا، ففي الحديث عن معاذ بن جبل قال: قال رسول الله ﷺ (استعينوا على إنجاح حوائجكم بالكتمان فإن كل ذي نعمة حسود)[4].

(د) وفيها دليل واضح على معرفة يعقوب عليه السلام بتأويل الرؤيا، فإنه علم من تأويلها أن سيدنا يوسف عليه السلام سيظهر عليهم، ولم يبال ذلك من نفسه، فإن الرجل يود أن يكون ولده خيرًا منه، والأخ لا يود ذلك لأخيه.

ثالثًا: مكيدة إخوة سيدنا يوسف عليه السلام وإلقائه في البئر:

وقد كان سيدنا يعقوب عليه السلام محبًا لابنه يوسف وأخيه بنيامين، نظرًا لأنهما كانا صغيرين فهما محتاجين لهذا الحب والعطف والرعاية، ولم يكن تفضيلاً من سيدنا يعقوب عليه السلام ليوسف وأخوه على إخوته.

---

(١) أخرجه الترمذي وقال فيه حديث حسن صحيح، يراجع سنن الترمذي في كتاب الرؤيا عن رسول الله في باب ما جاء في تعبير الرؤيا، حديث رقم ٢٢٠٤، دار الحديث بالقاهرة.

(٢) سنن الترمذي، المرجع السابق حديث رقم ٢٢٠٦.

(٣) غائلته أي: قتله من باب غول، وكل ما اغتال الإنسان فأهلكه فهو غول، واغتاله أي قتله غيلة. يراجع: مختار الصحاح للرازي، ص٤٨٤، ٤٨٥ عني بترتيبه/السيد محمود خاطر، دار التراث العربي للطباعة والنشر، والمراد: قتله حسدًا وكيدًا.

(٤) أخرجه الطبراني، يراجع: المعجم الصغير للطبراني والمسمى بالروض الداني جـ٢ ص ٢٩٢، تحقيق/محمد شكور محمود الحاج، المكتب الإسلامي دار عمار ط الأولى ١٤٠٥هـ.

ولكن أمام هذا الحب البريء من أب لابنه، فلم يسلم سيدنا يوسف عليه السلام من براثن شرهم، فقد ملأ البغض قلوبهم وحملهم على أن يتربصوا به ويتخلصوا منه حتى يستأثروا بحب أبيهم لهم وحدهم قال تعالى: ﴿إِذْ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ (١) فماذا يفعلون إنهم فكروا واتخذوا عدة قرارات: إما قتله، أو نفيه خارج أرضهم، ولكنهم استقروا أخيرًا على عدم قتله أو نفيه، بل إلقائه في الجب أي البئر قال تعالى: ﴿ٱقْتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُواْ مِنۢ بَعْدِهِۦ قَوْمًا صَٰلِحِينَ ۝٩ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُواْ يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ ٱلسَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ﴾ (٢).

يقول الإمام الطبري في حق مكيدة إلقاء سيدنا يوسف عليه السلام في البئر: «فلما برزوا به إلى البرية أظهروا العداوة وجعل أخوه يضربه فيستغيث بالآخر فيضربه فجعل لا يرى منهم رحيمًا فضربوه حتى كادوا يقتلونه فجعل يصيح ويقول يا أبتاه يا يعقوب لو تعلم ما صنع بابنك بنو الإماء، فلما كادوا يقتلونه قال يهوذا أليس قد أعطيتموني موثقًا أن لا تقتلوه فانطلقوا به إلى الجب ليطرحوه فجعلوا يدلونه في البئر فيتعلق بشفير(٣) البئر، فربطوا يديه ونزعوا قميصه فقال: يا إخوتاه ردوا عليّ قميصي أتوارى به في الجب فقالوا: ادع الشمس والقمر والأحد عشر كوكبًا تؤنسك، قال: إني لم أر شيئًا، فدلوه في البئر حتى إذا بلغ نصفها ألقوه إرادة أن يموت وكان في البئر ماء فسقط فيه، ثم أوى إلى صخرة فيها فقام عليها.

(١) سورة يوسف آية ٨.
(٢) سورة يوسف آية ٩،١٠.
(٣) شفير البئر: أي حافة البئر.

قال: فلما ألقوه في البئر جعل يبكي فنادوه فظن أنها رحمة أدركتهم فلباهم، فأرادوا أن يرضخوه بصخرة فيقتلوه، فقام يهوذا وقال قد أعطيتموني موثقًا أن لا تقتلوه، وكان يهوذا يأتيه بالطعام[1].

ثم جاء إخوة يوسف عليه السلام أباهم يعقوب عليه السلام ليلاً وهم يبكون مدعين بأن الذئب قد أكل أخوهم يوسف، وإن كان الذئب بريئاً من دمه قال تعالى: ﴿وَجَآءُوٓ أَبَاهُمۡ عِشَآءٗ يَبۡكُونَ ١٦ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبۡنَا نَسۡتَبِقُ وَتَرَكۡنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئۡبُۖ وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا وَلَوۡ كُنَّا صَٰدِقِينَ ١٧ وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٖ كَذِبٖۚ...﴾[2].

ولذلك ورد في تفسير أبي السعود[3]: لما سمع يعقوب بخبر يوسف عليه السلام – أي بأن الذئب أكله – صاح بأعلى صوته وقال: أين القميص فأخذه وألقاه على وجهه وبكى حتى اخضبّ وجهه بدم القميص وقال تالله ما رأيت كاليوم ذئبًا أحلم من هذا أكل ولم يمزق عليه قميصه، وقيل كان في قميص يوسف عليه السلام ثلاث آيات: كان دليلاً ليعقوب على كذبهم، وألقاه على وجهه فارتد بصيرًا، ودليلاً على براءة يوسف عليه حين قدته من دبره أي في مسألة مراودة امرأة العزيز ليوسف عليه السلام حينما قال الشاهد: ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٞ مِّنۡ أَهۡلِهَآ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٖ فَصَدَقَتۡ وَهُوَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ٢٦ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٖ فَكَذَبَتۡ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾[4].

(١) يراجع: جامع البيان من تأويل آي القرآن للإمام الطبري والمعروف بتفسير الطبري جـ١٢ ص١٦٠، دار الفكر ببيروت عام ١٤٠٥هـ، ويراجع في نفس المعنى تفسير أبي السعود والمسمى: إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الحكيم لأبي السعود جـ٤ ص ٢٥٨، دار إحياء التراث العربي – بيروت بدون تاريخ.

(٢) سورة يوسف الآيات ١٦-١٨.

(٣) تفسير أبي السعود، المرجع السابق جـ٤ ص ٢٦٠.

(٤) سورة يوسف الآية ٢٦، ٢٧.

رابعًا: بيع سيدنا يوسف عليه السلام على أنه بضاعة:

ورغم أن إخوة سيدنا يوسف عليه السلام أرادوا التخلص منه حتى يستأثروا بحب أبيهم لهم – كما سبق – ومن ثم فقد قاموا على إثر ذلك بإلقائه في البئر، إلا أن الحق تبارك وتعالى كتب له النجاة من براثن شرهم لأن له رسالة[1] ستأتي بعد ذلك لاسيما وأنه سيضع نظرية اقتصادية، هذه النظرية لا تزال تدرس حاليًا في اقتصاديات كلية الزراعة، ومن ثم قيد له سيارة[2]، كانت تريد حاجتها من الماء فأرسلوا المختص لديهم لإحضار الماء من هذا البئر الذي به يوسف، بل وقيل بأن هذا البئر كان مهجورًا وكان ماؤه ملحًا فأصبح عذبًا بمجرد إلقاء يوسف فيه، وحينما ألقى هذا الوارد دلوه تعلق به سيدنا يوسف عليه السلام ففرح به لكي يبيعه ولو بثمن بخس ويحصل على ثمنه قال تعالى: ﴿وَجَآءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُواْ وَارِدَهُمْ فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُۥ ۖ قَالَ يَٰبُشْرَىٰ هَٰذَا غُلَٰمٌ ۚ وَأَسَرُّوهُ بِضَٰعَةً ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍۭ بَخْسٍ دَرَٰهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُواْ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ﴾[3] ومن ثم يقول الإمام أبي السعود في تفسيره: (وجاءت سيارة أي رفقة تسير من جهة مدين إلى مصر .. وقد قيل: إن البئر كان في قفرة بعيدة من العمران لم تكن إلا للرعاة فأخطأوا الطريق فنزلوا قريبًا منه، وقيل: كان ماؤه ملحًا فعذب حين ألقي فيه عليه السلام، فأرسلوا واردهم الذي يرد الماء ويستقي لهم وكان ذلك مالك بن ذعر فأدلى دلوه أي أرسلها إلى

(١) وهذه هي فلسفة نجاة الأنبياء والرسل، لأنهم محملون برسالة، فلابد أن ينجيهم الحق تبارك وتعالى لكي يستكملوا الرسالة التي أرسلوا من أجلها، لأنه كيف الحال لو قضي عليهم قبل القيام بهذه المهمة الربانية، فسيدنا إبراهيم عليه السلام نجَّاه الله من الحرق بالنار، لأن له رسالة بعد ذلك وهي بناء المسجد الحرام ووضع قواعده، وإنجاب سيدنا إسماعيل عليه السلام ليفتدى بكبش هو الآخر ليكون أضحية وسنَّة في حق أمَّة سيدنا محمد ﷺ حتى قيام الساعة، وهكذا بقية الأنبياء والرسل الذين ابتلوا في البداية بالأعداء للتخلص منهم والقضاء عليهم.

(٢) سيارة: أي رفقة تسير في الطريق.

(٣) سورة يوسف الآية ١٩، ٢٠.

الجب[١] .. فقال يا بشرى هذا غلام .. وأسروه أي أخفاه الوارد وأصحابه عن بقية الرفقة، وقيل: أخفوا أمره ووجدانهم له في الجب وقالوا: دفعه إلينا أهل الماء لنبيعه لهم بمصر، وشروه أي باعوه بثمن بخس زيف ناقص العيار، وعن ابن عباس كانت عشرين درهمًا، وعن السدي ﷺ أنها كانت اثنين وعشرين درهمًا، وكانوا أي البائعون له من الزاهدين من الذين لا يرغبون فيما بأيديهم فلذلك باعوه بما ذكر من الثمن البخس، وسبب ذلك أنهم التقطوه[٢] والملتقط للشيء متهاون به أو غير واثق بأمره يخاف أن يظهر له مستحق فينتزعه منه فيبيعه من أول مساوم[٣] بأوكس[٤] ثمن)[٥] وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍۭ بَخْسٍ دَرَٰهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ﴾[٦].

(١) وقد قيل بأن عمر سيدنا يوسف ﷺ وقت أن أدلى وارد الماء دلوه في البئر سبع سنين – يراجع: تفسير الثعالبي للإمام الثعالبي والمسمى بالجواهر الحسان في تفسير القرآن، جـ٢ ص٢٢٨، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات – بيروت بدون تاريخ.

(٢) واللقيط في الفقه الإسلامي: بمعنى الملقوط أي المأخوذ من الأرض، وفي الشرع: اسم لما يطرح على الأرض من صغار بني آدم خوفًا من العيلة أي الفقر أو فرارًا من تهمة الزنا – يراجع: التعريفات للإمام الجرجاني ص٢٤٨، حققه/إبراهيم الإبياري، دار الريان للتراث بالقاهرة، عام ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

(٣) والسوم هو: طلب المبيع بالثمن الذي تقرر به أي من قبل المشتري. يراجع: التعريفات، المرجع السابق، ص١٦٣.

(٤) أوكس ثمن: أي أنقص أو أقل ثمن.

(٥) يراجع: تفسير أبي السعود والمسمى بإرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الحكيم السابق، جـ٤ ص٢٦١، وفي نفس المعنى تفسير القرآن للإمام الصنعاني جـ٢ ص٣٢٠، مكتبة الرشد بالرياض، تحقيق د.مصطفى مسلم محمد، الطبعة الأولى عام ١٤١٠هـ.

(٦) سورة يوسف آية ٢٠.

خامسًا: رعاية عزيز مصر لسيدنا يوسف عليه السلام وتربيته له:

وتأتي قمة النجاة لسيدنا يوسف عليه السلام وهو أن قيَّض الحق تبارك وتعالى له من يقوم بتربيته ورعايته وهو عزيز مصر الذي اشتراه قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ مِن مِّصْرَ لِٱمْرَأَتِهِۦٓ أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا ۚ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[1]، يقول الإمام ابن كثير في تفسيره لهذه الآية: (يخبر الله تعالى بألطافه بيوسف عليه السلام أنه قيَّض له الذي اشتراه من مصر حتى اعتنى به وأكرمه وأوصى أهله به وتوسم فيه الخير والصلاح فقال أكرمي مثواه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدًا وكان الذي اشتراه من مصر عزيزها وهو الوزير بها ... وكان اسمه قطفير وقال محمد بن إسحاق اسمه أطفير ابن روحيب وهو العزيز وكان على خزائن مصر.. قال واسم امرأته راعيل بنت رعائيل وقال غيره اسمها زليخا..)[2].

سادسًا: مؤامرة امرأة العزيز بسيدنا يوسف عليه السلام:

ولا يزال سيدنا يوسف عليه السلام مبتلي، فبينما نجا من ابتلاء كيد إخوته له وإلقائهم له في البئر، ثم بيعه بثمن بخس، إذا به يجد بلاءً ولكن من نوع آخر فبعد أن بلغ أشده واستوى شابًا في عنفوان شبابه واكتمال رجولته وجماله البهي يبتلى بحب امرأة العزيز له الذي تربى في قصره.

وبعد أن ملأ الحب قلبها وهو مُعرِض عنها فماذا تفعل؟ إنها تدبر وتخطط له لكي تغنم بحبه لها، بل وتراوده عن نفسه، وفي ذلك يقول القرآن ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٢٢﴾ وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ

(١) سورة يوسف آية ٢١.

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير، السابق جـ٢ ص ٤٧٤.

إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾[1] وفي ذلك يقول الإمام ابن كثير: (ثم يخبر تعالى عن امرأة العزيز التي كان يوسف في بيتها وقد أوصاها زوجها به وبإكرامه فراودته عن نفسه أي حاولته على نفسه ودعته إليها وذلك أنها أحبته حبًا شديدًا لجماله وحسنه وبهائه فحملها ذلك على أن تجمَّلت له وغلَّقت الأبواب ودعته إلى نفسها وقالت هيت لك، فامتنع عن ذلك أشد الامتناع وقال معاذ الله إنه ربي أحسن مثواي وكانوا يطلقون الربّ على السيد والكبير أي أن بعلك[2] ربي أحسن مثواي، أي منزلي وأحسن إليّ فلا أقابله بالفاحشة في أهله إنه لا يفلح الظالمون)[3].

سابعًا: دخول سيدنا يوسف عليه السلام السجن وحبسه رغم براءته:

وعلى الرغم من براءة سيدنا يوسف عليه السلام من التهمة المنسوبة إليه وهي التحريش أو الاعتداء على امرأة العزيز إلا أنهم مع ذلك قاموا بحبسه ووضعه في السجن قال تعالى: ﴿ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا رَأَوُا۟ ٱلْـَٔايَٰتِ لَيَسْجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٍ ﴾[4]، يقول الإمام القرطبي: (لقد ظهر للعزيز وأهل مشورته من بعد أن رأوا علامات[5] براءة يوسف – من قد القميص من دبر، وشهادة الشاهد، وحزّ الأيدي،

(١) سورة يوسف آية ٢٢،٢٣.

(٢) بعلك: أي زوجك.

(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير، المرجع والمكان السابقان.

(٤) سورة يوسف آية ٣٥.

(٥) وهذه العلامات هي الواردة في قوله تعالى: ﴿وَٱسْتَبَقَا ٱلْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلْبَابِ ۚ قَالَتْ مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٥﴾ قَالَ هِىَ رَٰوَدَتْنِى عَن نَّفْسِى ۚ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٧﴾ فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُۥ مِن كَيْدِكُنَّ ۖ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا ۚ وَٱسْتَغْفِرِى لِذَنۢبِكِ ۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلْخَٰطِـِٔينَ ﴿٢٩﴾ ۞ وَقَالَ =

وقلة صبرهن عن لقاء يوسف – أن يسجنوه كتمانًا للقصة ألا تشيع في العامة وللحيلولة بينه وبينها)[1]، بل لقد ذكر بعض المفسرين[2] أن امرأة العزيز حينما يئست من محبة سيدنا يوسف عليه السلام لها قالت لزوجها إن هذا الغلام العبراني قد فضحني في الناس وهو يعتذر إليهم ويصف الأمر بحسب اختياره وأنا محبوسة محجوبة فإما أذنت لي فخرجت إلى الناس فاعتذرت وكذبته، وإما حبسته كما أنا محبوسة، فحينئذ بدا لهم سجنه.

مدى مشروعية هذا الحبس في الفقه الإسلامي:

وقد اعتبر بعض العلماء المحدثين[3] هذا الحبس الذي وقع لسيدنا يوسف عليه السلام من قبيل الحبس الاحترازي[4] أو التحفظ على الشخص من أجل

=نِسْوَةٌ فِي ٱلْمَدِينَةِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفْسِهِۦ ۖ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ۖ إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَـًٔا وَءَاتَتْ كُلَّ وَٰحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ ٱخْرُجْ عَلَيْهِنَّ ۖ فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ [سورة يوسف الآيات من ٢٥-٣١].

(١) يراجع الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، السابق، جـ٤ ص٣٥٠٨.

(٢) الإمام الثعالبي في تفسيره، السابق، جـ٢ ص٢٣٦، والإمام الطبري في تفسيره، السابق، جـ١٢، ص١٢٥.

(٣) د/أبو سريع محمد عبد الهادي – فقه السجون والمعتقلات ص٦١، دار الاعتصام بالقاهرة عام ١٩٩٣م بتصرف.

(٤) إذ أنه من خلال استقراءات أقوال الفقهاء تبين أنهم يقسِّمون الحبس داخل السجون إلى نوعين هما:

(أ) حبس بقصد العقوبة: ويكون في الأفعال والجرائم التي لم يشرع فيها الحدود، سواء أكان فيها حق الله تعالى، أم كان فيها حق الآدمي، فمن الأول كحبس الشخص عند امتناعه عن أداء حق الله تعالى مما لا تدخله النيابة كالصلاة والصيام، ومن الثاني كحبس الممتنع من دفع الحق إلجاء إليه، وحبس الجاني ردعًا عن المعاصي. =

المصلحة العامة على من يتوقع حدوث ضرر بتركه، ويمكن أن يسمى أيضًا بالاعتقال[1]، ولا يستلزم منه وجود تهمة، وهو معمول به منذ زمن طويل للحاجة إليه أو الضرورة لفعله للمصلحة العامة، ومنه حبس سيدنا يوسف عليه السلام كما سبق

=(ب) حبس بقصد الاستيثاق ويقصد به: تعويق الشخص ومنعه من التصرف بنفسه بقصد الاستيثاق وضمان عدم الهروب لا بقصد التعزير والعقوبة، وهو ثلاثة أنواع:

(١) الحبس بالتهمة: وهو تعويق ذي الريبة عن التصرف بنفسه حتى يتبين أمره فيما ادعي عليه من حق الله أو الآدمي المعاقب عليه، ويسمى أيضًا بحبس الاستظهار ليكشف به ما وراءه.

(٢) الحبس الاحترازي وهو الموضح بعاليه.

(٣) الحبس بقصد تنفيذ عقوبة: ويقصد به حبس المتهم لتنفيذ عقوبة إذا خيف هربه في حالة إرجاء تنفيذها، ففي هذه الحالة يجوز حبسه، ومن ذلك أنه يؤخر عن المريض أو الحامل أو النفساء تنفيذ عقوبة من أجل جريمة ارتكبوها لحين برء المريض، أو وضع الحامل جنينها، أو خروج النفساء من نفاسها أي انتهت مدة النفاس، فحينئذ يجوز حبس هؤلاء لحين تنفيذ العقوبة إذا خيف هربهم.

يراجع بالتفصيل في كل ذلك: الموسوعة الفقهية الصادرة عن وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بالكويت، جـ١٦ ص٢٨٦، ٢٨٧، ٢٩١، ٢٩٢، ٢٩٥ بتصرف، الطبعة الثانية عام ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م. طباعة ذات السلاسل الكويت.

(١) ويمكن تعريفه بأنه: إجراء وقائي يقصد منه حماية أمن المجتمع وسلامته، أو هو التحفظ على الشخص حتى ولو لم يرتكب جريمة ما حفاظًا على المصلحة العامة، أو شخص دائم ارتكاب الجرائم ولم تفلح معه العقوبات المقدرة فيعتقل لإصلاحه وتطهيرًا للمجتمع من شره.

يراجع: رسالتنا للدكتوراه: بعنوان: «المسئولية الناشئة عن الضرر الأدبي. دراسة مقارنة بين الفقه الإسلامي والقانون الوضعي» ص ٣٤٩، كلية الشريعة والقانون بالقاهرة عام ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

بعد ما رأوا الآيات[1]، إبعادًا له عن الأنظار وعدم افتتان النساء به وتحاشيًا واحترازًا من ازدياد الخوض في قصته مع امرأة العزيز عند رؤيته.

(١) قال تعالى: ﴿ ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّن بَعْدِ مَا رَأَوُاْ الآيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّى حِينٍ﴾ سورة يوسف آية ٣٥.

المبحث الأول
أزمة الغذاء ووقائعها في عهد سيدنا يوسف عليه السلام

إن من يدقق النظر في آيات القرآن الكريم يجد أن وقائع أزمة الغذاء في عهد سيدنا يوسف عليه السلام كانت عبارة عن رؤيا رآها ملك[1] مصر وكما ذكره الحق تبارك وتعالى: ﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ إِنِّيٓ أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ أَفْتُونِى فِى رُءْيَىَ إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ﴾[2].

يقول الإمام الثعالبي: روي أن الملك قال: رأيتها أي السبع بقرات سمان خارجة من نهر وخرجت وراءها سبع عجاف فأكلت تلك السمان وحصلت في بطونها، ورأى السنابل أيضًا كما ذكر، والعجاف التي بلغت غاية الهزال، ثم قال لحاضريه ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ أَفْتُونِى فِى رُءْيَىَ إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ﴾[3].

ولذلك يقول الإمام الطبري في تفسير قوله تعالى: ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِى سَبْعِ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ لَّعَلِّىٓ أَرْجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[4]، أي أفتنا في سبع بقرات سمان رئين في

(١) وقد قيل بأن اسم الملك الذي رأى الرؤيا ريان بن الوليد – يراجع تفسير الشوكاني والمسمى بفتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية لعلم التفسير، جـ٣ ص ٣٢، دار الفكر – بيروت.

(٢) سورة يوسف آية ٤٣.

(٣) يراجع: تفسير الثعالبي، السابق، جـ٢ ص٢٣٩، وفي نفس المعنى: زاد المسير في علم التفسير للإمام ابن الجوزي جـ٤ ص٢٢٩، المكتب الإسلامي ببيروت الطبعة الثالثة عام ١٤٠٤هـ.

(٤) سورة يوسف آية ٤٦.

المنام يأكلهن سبع منها عجاف، وفي سبع سنبلات خضر رئين أيضًا وسبع أخر منهن يابسات، فأما السمان من البقر فإنها السنون المخصبة .. وأما السبع العجاف فسنون مجدبة لا تنبت شيئًا .

وقوله: وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات، أما الخضر فهن السنون المخاصيب، وأما اليابسات فهن الجدوب، والعجاف، جمع عجف وهن المهازيل[1] .

ويقول الإمام أبي السعود[2]: وقوله: ﴿لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ أي تأويل هذه الرؤيا فيزول هم الملك لذلك وهم الناس، وقيل لعلهم يعلمون مكانتك من العلم وكذا فضلك فيكون ذلك سببًا لتخليصك. أي من السجن .

ولذلك يقول الحافظ بن كثير: هذه الرؤيا من ملك مصر مما قدَّر الله أنها كانت سببًا لخروج يوسف عليه السلام من السجن معززًا مكرمًا، وذلك أن الملك رأى هذه الرؤيا فهالته وتعجب من أمرها وما يكون تفسيرها، فجمع الكهنة والحُزّاق[3] وكبار دولته وأمراءه فقصّ عليهم ما رأى، وسألهم عن تأويلها، فلم يعرفوا ذلك واعتذروا إليه بأنها أضغاث أحلام، أي أخلاط أحلام اقتضته رؤياك هذه، وما نحن بتأويل الأحلام بعالمين، أي لو كانت رؤيا صحيحة من أخلاط لما كان لنا معرفة بتأويلها وهو تفسيرها، وعند ذلك تذكر الذي نجا من ذينك الفتيين اللذين كانا في السجن مع يوسف وكان الشيطان قد أنساه ما وصاه به يوسف من ذكر أمره للملك[4]، فعند ذلك تذكر بعد أمة أي مدة، فقال لهم أي للملك والذين جمعهم لذلك أنا

(١) يراجع: تفسير الطبري للإمام الطبري السابق، جـ١٢ ص٢٣٠.
(٢) تفسير أبي السعود، السابق، جـ٤ ص٢٨٢.
(٣) الحُزّاق: جمع حازق، والحازق من له خبرة طويلة في فن من الفنون أو علم من العلوم.
(٤) وهو المراد من قوله تعالى: ﴿وَقَالَ لِلَّذِى ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٍ مِّنْهُمَا ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيْطَٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ فَلَبِثَ فِى ٱلسِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ﴾ [سورة يوسف آية ٤٢]، والمراد بربك: الملك، وربه: أي أمر يوسف للملك.

أنبئكم بتأويله أي بتأويل هذا المنام فأرسلون أي فابعثون إلى يوسف الصديق إلى السجن، ومعنى الكلام فبعثوه فجاء فقال: يوسف أيها الصديق أفتنا .. وذكر المنام الذي رآه الملك فعند ذلك ذكر له يوسف عليه السلام تعبيرها من غير تعنيف للفتى في نسيانه ما وصاه به[1]، ومن غير اشتراط للخروج[2] قبل ذلك، بل قال: تزرعون سبع سنين دأبًا أي يأتيكم الخصب والمطر سبع سنين متواليات، - وكما سيأتي الحديث مفصلاً في المبحث التالي – ففسر البقر بالسنين لأنها تثير الأرض التي تشتغل منها الثمرات والزروع وهن السنبلات الخضر[3].

(١) وهذه من سماحة وأخلاق سيدنا يوسف عليه السلام مع الآخرين يقابل الإساءة – إن جاز التعبير – بالإساءة، ولكنه قابل الإساءة بالإحسان، وهذه من شمائل الأنبياء والمرسلين جميعًا.

(٢) ولذلك يذكر الإمام الصنعاني في تفسيره عن عبد الرازق عن ابن عيينة عن عمر عن عكرمة قال: قال رسول الله ﷺ : "لقد عجبت من يوسف وصبره وكرمه والله يغفر له حين سئل عن البقرات العجاف والسمان ولو كنت مكانه ما أخبرتهم حتى أشترط عليهم أن يخرجوني". يراجع: تفسير الصنعاني، السابق جـ٢ ص٣٢٧.

(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير، السابق جـ٢ ص٤٨١.

المبحث الثاني
كيفية معالجة سيدنا يوسف عليه السلام لأزمة الغذاء التي وقعت في عهده

إن من يمعن النظر في أزمة الغذاء التي وقعت في عهد سيدنا يوسف عليه السلام في مصر وكيف أنه قام بحل هذه الأزمة يجد أنه كان محنكًا وخبيرًا اقتصاديًا من الدرجة الأولى، بل ولا نكون مبالغين إن قلنا بأن:

سيدنا يوسف عليه السلام يعد أول واضع لأعظم نظرية اقتصادية غذائية عرفها التاريخ الاقتصادي الزراعي على مر العصور وحتى العصر الحالي[1].

ومن ثم فإنه من خلال النظر في آيات سورة يوسف عليه السلام ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ لَّعَلِّيٓ أَرْجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ ﴿٤٨﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾[2] وفَهْم المفسرون لها يتبيَّن لنا أن سيدنا يوسف عليه السلام قد عالج مشكلة أزمة الغذاء التي وقعت في عهده بالنظرية الاقتصادية التي وضعها والتي تأتلف من سبعة أمور:

(١) الجدُّ في العمل والاستمرار فيه.

(٢) الادخار للطعام والغذاء في سنين الرخاء.

(٣) نوع الطعام المدخر وكيفية ادخاره.

(٤) إرشاد أهل مصر إلى تقليل الأكل بقدر الحاجة وحفظ وادخار الأكثر.

(٥) عدم الاقتراب من الطعام المدخر طوال سنوات الخصاب أو فترة الرخاء.

---

(١) بل ويتم تدريسها الآن في كليات الزراعة.

(٢) سورة يوسف الآيات ٤٦ – ٤٩.

(٦) تناول الأقدم فالأقدم من الطعام المدخر في سنوات الخصاب والعجاف، فما تم ادخاره في السنة الأولى من السنوات الخصاب مثلاً يتم تناوله في السنة الأولى من سنوات العجاف .. وهكذا.

(٧) إرشاد أهل مصر إلى ادخار بعض الحبوب في سنوات العجاف لبذرها وزرعها فيما بعد سنوات العجاف، وذلك لاستمرار عملية الحياة، ولأن في استبقاء البَذْر تحصين الأقوات، إذ لو أنهم أكلوا كل ما ادخروه في سنوات الرخاء في سنوات العجاف دون أن يدخروا منه شيئًا لاستمرار عملية الزراعة بعد ذلك فكيف تتم؟

ومن الجدير بالملاحظة أن هذه الأمور السبعة سالفة الذكر كلها متكاملة ومترابطة وكل منها مبني على الآخر بحيث لا يمكن إعمال إحداها بمعزل عن الأخرى حتى تؤتي ثمارها بصورة طيبة.

هذا وسوف نسوق بعضًا من أقوال المفسرين مما يؤيد ذلك.

الأمر الأول: الجد في العمل والاستمرار فيه:

وهذا، واضح من قوله تعالى: ﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا..﴾[1] يقول علماء التفسير[2]: والمراد بالدأب هو الجد في العمل والاستمرار والتوالي والتتابع والتعب فيه، فقد أخبرهم سيدنا يوسف عليه السلام بأن عليهم أن يواظبوا سبع سنين على

(١) سورة يوسف آية ٤٧.

(٢) يراجع: تفسير الطبري جـ١٢ ص٢٣٠، تفسير البغوي للإمام البغوي جـ٢ ص٤٢٩، تفسير الألوسي والمسمى بروح المعني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني جـ١٢ ص٢٥٤، دار إحياء التراث العربي – بيروت، تفسير أبي السعود، السابق، جـ٤ ص٢٨٢، تفسير الواحدي والمسمى بالوجيز في تفسير الكتاب العزيز، جـ١ ص٥٤٨ تحقيق/صفوان عدنان داوودي، دار القلم – الدار الشامية – دمشق – بيروت – الطبعة الأولى عام ١٤١٥هـ، تفسير الشوكاني والمسمى بفتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير،السابق، جـ٣ ص٣١.

الزراعة ويبالغون فيها ، إذ بذلك يتحقق الخصب الذي هو مصداق البقرات السمان وتأويلها .

وقيل : تزرعون سبع سنين كعادتكم فيما مضى ، والدأب هو العادة[1] ، ولكني أميل إلى الاتجاه الأول ، بل هو المناسب لظروف حالهم ، فإن الإنسان إذا كان يعمل عملاً بطريقة منتظمة في أوقات عادية ، فإن عليه أن يجتهد ويستمر في هذا الاجتهاد والتعب في أوقات أخرى يتطلبها ذلك ، كذلك الأمر فإن على أهل مصر أن يعملوا في الزراعة ويجتهدوا ويتعبوا ويبالغوا فيها حتى يحصلوا على أكبر قدر ممكن من المحاصيل الزراعية لينفعهم في وقت آخر أكثر من عملهم في الأوقات العادية .

ولذلك فإنه تطبيق لذلك لاسيما في الوقت المعاصر ، فإنه إذا كان هناك نوع من البذور يعطي كمية أوفر وفي وقت أسرع أو أقل وليس فيه ضرر فإنه يجب الأخذ به لاسيما أيضًا بأن النمو السكاني في مصر أصبح في تزايد مستمر .

فائدة هامة:

فإن قيل كيف حكم سيدنا يوسف عليه السلام بعلم الغيب ، ﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ﴾ ولم يقل إن شاء الله فله أربعة أجوبة :

أحدها : أنه كان بوحي من الله عز وجل .

والثاني : أنه بنى على علم ما علَّمه الله من التأويل الحق فلم يشك .

والثالث : أنه أضمر إن شاء الله كما أضمر إخوته في قولهم ونمير أهلنا ونحفظ أخانا – يوسف – فأضمروا الاستثناء في نياتهم لأنهم على غير ثقة مما وعدوا ذكره ابن الأنباري .

والرابع : أنه كان الآمر لهم فكأنه قال : ازرعوا[2] .

---

(١) يراجع: تفسير الطبري جـ١٢ ص٢٣٠، تفسير القرطبي جـ٤ ص ٣٥٢٥، تفسير الثعالبي جـ٢ ص٢٤١.

(٢) يراجع في هذه الأجوبة الأربعة: تفسير زاد المسير لابن الجوزي جـ٤ ص٢٣٢ وما بعدها.

الأمر الثالث: نوع الطعام المدخر وكيفية ادخاره:

وينطلق سيدنا يوسف عليه السلام بنظريته الاقتصادية إلى أهم بند فيها ألا وهو نوع الطعام المدخر وكيفية ادخاره، وقد يبدو هذا الأمر عاديًا ولكنه في الحقيقة هو من أخطر الأمور التي واجهها سيدنا يوسف عليه السلام للعبور من هذه الأزمة الغذائية، إذ ليس كل طعام يصلح للادخار فالفواكه واللحوم مثلاً لا يصلحان للادخار أو بمعنى آخر ليس كل ما يخرج من الأرض صالحًا للادخار والحفظ، وكذلك الأمر لو كان طعام يصلح للادخار ولكن تم ادخاره بطريقة خاطئة فكيف يتم استعماله بعد ذلك؟ أو إنه ادخار بلا جدوى.

ومن ثم فإن من ينظر في قول سيدنا يوسف عليه السلام ﴿فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ﴾[1] يجد أنه عليه السلام قد بيَّن نوع الطعام وكيفية ادخاره في كلمتين اثنتين. ﴿فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ﴾[2]، ومن ثم نجد أنه عليه السلام يقرر:

(١) نوع الطعام الصالح للادخار هو ما كان له قشرة خارجية أو غلاف خارجي وهو الحبوب أو الغلال مثل القمح والفول والأرز ... الخ.

(٢) أما عن كيفية ادخاره فقد أمرهم عليه السلام أنهم إذا حصدوا الحَبّ الناتج عن الزرع في كل عام فلا ينزعوا عنه القشرة الخارجية، بل لابد أن يتركوه في سنبله حتى يصلح ادخاره ولا يأكله السوس ويمكث أكبر فترة من الزمن بعيدًا عن الفساد، لأنه لو تم ادخاره وحفظه بطريقة خاطئة فلا جدوى من ذلك، بل ولا يمكن الاستفادة منه بعد ذلك.

ومن الجدير بالإشارة أن ترك الحَبّ في سنبله كان جديدًا بالنسبة للمصريين، حيث إن الحب لا يمكث أكثر من سنتين في حالة نزع السنبل عنه وبالتالي يدخله السوس، أما بفضل نظرية سيدنا يوسف عليه السلام الاقتصادية فإن الحب سوف يمكث سبع سنين كما أخبر عليه السلام ولا يدخله السوس، يقول الإمام أبو السعود

(١) سورة يوسف آية ٤٧.
(٢) سورة يوسف آية ٤٧.

والألوسي والثعالبي في تفسيرهم[1]: لقد دلّ سيدنا يوسف عليه السلام أهل مصر على أمر نافع لهم فقال: فما حصدتم أي في كل سنة فذروه في سنبله ولا تذروه بدون سنبل كيلا يأكله السوس كما هو شأن غلال مصر ونواحيها إذا مضى عليها نحو عامين، ولعله عليه السلام استدل على ذلك بالسنبلات الخضر، وإنما أمرهم بذلك لأنه لم يكن معتادًا فيما بينهم فتعلموا طريقة حفظ الحبوب من يوسف عليه السلام فبقي لهم في تلك المدة، وحيث كانوا معتادين للزراعة فلم يأمرهم بها وجعلها أمرًا محقق الوقوع.

فائدة هامة:

هذا ويمكن للشخص أن يطبِّق فكرة سيدنا يوسف عليه السلام في حياته، فإذا ما أراد أن يدخر غذاء لفترة طويلة فعليه أن يختار نوع الغذاء وكيفية ادخاره، لأنه ليس كل غذاء صالح للادخار، وليس كل مدخر يصلح للاستعمال، لأنه ربما ادخر بطريقة خطأ بأن كان مكانًا رطبًا أو غير صالح للادخار، فمن ثم فلا جدوى حينئذ من هذا الادخار.

الأمر الرابع: إرشاد أهل مصر إلى تقليل الأكل بقدر الحاجة وحفظ وادخار الأكثر:

ثم ينقل سيدنا يوسف عليه السلام أهل مصر إلى مرحلة هامة وخطيرة ألا وهي دعوتهم وإرشادهم إلى تقليل الأكل مما يزرعونه فلا يكون إلا بقدر الحاجة، وذلك في سبع سنين الرخاء، وحفظ وادخار الأكثر في هذه السنين ليستعينوا به في السنوات السبع العجاف، وقد أتى ذكر هذه المرحلة في قوله تعالى على لسان سيدنا يوسف عليه السلام: ﴿ فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلاً مِّمَّا تَأۡكُلُونَ ﴾[2]، يقول علماء التفسير في هذه الآية فما حصدتم فذروه في سنبله، لأنه أبقى له وأبعد عن الفساد لئلا يأكله السوس، إلا قليلاً مما تأكلون، فإنكم تدرسونه[3]، وفيه إرشاد

(١) يرجع تفسير أبي السعود، جـ٤ ص٢٨٢، وتفسير الألوسي المسمى بروح المعاني، السابق، جـ١٢ ص ٢٥٤، ٢٥٥، وتفسير الثعالبي، السابق جـ٢ ص٢٤١.

(٢) سورة يوسف آية ٤٧.

(٣) تدرسونه: أي تنزعون عنه السنبل وهو القشرة الخارجية.

من يوسف عليه السلام وأمره لهم بحفظ الأكثر والتقليل في الأكل أو أن الأكل بقدر الحاجة[1] أي ليكن قليلاً قليلاً، ولا تسرفوا فيه لتنتفعوا به في السبع الشداد، ومن ثم نجد بأن سيدنا يوسف عليه السلام قد وقف موقفًا وسطًا فلم يأمرهم بحفظ وادخار كل الحَبّ الذي يخرج من الأرض، ولم يأمرهم أيضًا بأكله كله، ولكنه أمرهم بحفظ وادخار الأكثر تحسبًا لسنين العجاف كما سبق بتركه في السنبل، والأكل من هذا الطعام بقدر الحاجة أي بقدر ما يقيم بنيتهم الجسمية فحينئذ ينزعون عنه السنبل بل لابد لهم من ذلك، وهذه في حد ذاتها دعوة للإنسان لأن يكون وسطًا في إنفاقه فلا يكون مسرفًا مبذرًا، ولا أن يكون مقترًا بخيلاً، وهو ما حرصت عليه الشريعة الإسلامية في مبادئها الأساسية.

بل إن من ينظر في الشريعة الإسلامية يجد أنها أيضًا قد دعت إلى تناول القليل من الطعام في كافة الأوقات ونهت عن ملء البطن من الطعام، فعن المقدام بن معد يكرب قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما ملأ آدمي وعاء شرًا من بطن، حسب الآدمي لقيمات يقمن صلبه، فإن غلبت الآدمي نفسه فثلث للطعام وثلث للشراب وثلث للنفس»[2].

الأمر الخامس: عدم الاقتراب من الطعام المدخر طوال السنوات الخصاب أو فترة الرخاء:

وهذا الأمر كما يبدو من مسماه يعتبر مطلبًا منطقيًا وعادلاً، بل ونتيجة مترتبة على مبدأ الادخار الذي دعا إليه سيدنا يوسف عليه السلام أهل مصر وأمرهم به، إذ

(١) يراجع: تفسير البغوي، جـ٢ ص٤٢٩، تفسير أبي السعود السابق، جـ٤ ص٢٨٢، تفسير الألوسي، السابق جـ١٢ ص٢٥٥، تفسير الواحدي، السابق جـ١ ص٥٤٩، وتفسير القرآن العظيم للحافظ ابن كثير جـ٢ ص٤٨١، تفسير الشوكاني المعروف بفتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية، السابق جـ٣ ص٣١

(٢) سنن ابن ماجه جـ٢ ص١١١١ حديث رقم ٣٣٤٩ في باب الاقتصاد في الأكل وكراهة الشبع.

كيف يدخرون طعامًا أو غلالاً في وقت الرخاء أو سبع سنين الخصاب للاستعانة به في سبع سنين العجاف، ثم تقترب منه أيديهم في ذات سنين الرخاء، ولذلك فقد أحسن صنعًا بعض[1] المفسرين حينما فسَّر قوله تعالى: ﴿فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأۡكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ سَبۡعٌ شِدَادٞ يَأۡكُلۡنَ مَا قَدَّمۡتُمۡ لَهُنَّ..﴾[2] بأن سنين الرخاء أو الخصاب وهي سبع سوف يعقبها سبع سنين شدائد أو جدب، وهن البقرات العجاف اللاتي تأكل السمان، لأن سني الجدب يؤكل فيها ما جمعوه في سني الخصب وهن السنبلات اليابسات، وأخبرهم أنهن لا ينبتن شيئًا مما بذروه فلا يرجعون منه إلى شيء، أي عدم الاقتراب من المدخر طوال سنين الرخاء لكي ينتفعوا به في سنين العجاف.

الأمر السادس: تناول الأقدم فالأقدم من الطعام المدخر في السنوات الخصاب والعجاف

ولم تقف خبرة سيدنا يوسف عليه السلام الاقتصادية الزراعية عند هذا الحد، فالجد في الزراعة، والأخذ بمبدأ الادخار ونوع الطعام المدخر وكيفية ادخاره، وتقليل الأكل بقدر الحاجة في سنين الرخاء لحفظ وادخار الأكثر للانتفاع به في سنين العجاف، وعدم الاقتراب من الطعام المدخر طوال سنوات الرخاء، بل أوضح لهم أيضًا:

(١) أنهم في حالة تناولهم لهذا الطعام المدخر في سنين العجاف لا يتناولون ما ادخروه حديثًا، بل يتناولون الأقدم فالأقدم من الطعام المدخر، فما تم ادخاره في السنة الأولى من السبع سنين الخصاب يتم تناوله في السنة الأولى من سنوات العجاف، وما تم ادخاره في السنة الثانية من سنوات الخصاب يتم تناوله

(١) الإمام الحافظ بن كثير في تفسيره المعروف: بتفسير القرآن العظيم، السابق جـ٢ ص٤٨١ بتصرف.

(٢) سورة يوسف آية ٤٧، ٤٨.

في السنة الثانية من سنوات العجاف. وهكذا حتى يتم تناول ما ادُّخر في السنة السابعة من سنوات الخصب في السنة السابعة من السنوات العجاف.

(٢) بل ولا يقف الأمر عند هذا الحد فقط، بل أمرهم أيضًا عند تناولهم الأكل بقدر الحاجة في سنين الرخاء وهو بالطبع قليل كما سبق، أن يتناولوا الأقدم فالأقدم من هذا الطعام، بمعنى أن ما تم حفظه وادخاره من حبوب في السنة الأولى في سنين الرخاء إلا ما قاموا بدراسته أي نزع قشرته الخارجية لاستعمالهم إياه، فإذا ما جاءت السنة الثانية وقاموا أيضًا بحفظ وادخار ما حصدوه، فإذا ما أرادوا أن يأخذوا جزءاً لاستعماله في معيشتهم، فلا يأخذوا مما ادخروه في السنة الثانية، بل يأخذوه مما ادخروه في السنة الأولى .. وهكذا، وذلك لأن الطعام كلما كان محفوظًا ومدخرًا حديثًا كلما مكث أكبر فترة من الزمن، ولذلك يقول الإمام الثعالبي في تفسير قوله تعالى: ﴿فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ﴾[1]، «إشارة برأي نافع بحسب طعام مصر وحنطتها التي لا تبقى عامين بوجه إلا بحيلة إبقائها في السنبل، والمعنى اتركوا الزرع في السنبل إلا ما غني عنه للأكل، فيجتمع الطعام هكذا ويترتب ويؤكل الأقدم فالأقدم»[2]. وهذه تعد من فطنة وحكمة وعبرة سيدنا يوسف عليه السلام.

فائدة هامة:

ومن الممكن أن يطبِّق الشخص هذا في حياته ويستفيد منه، فإذا كان مدخرًا شيئًا عينيًا حبًا أو غيره، ثم بعد فترة أخرى ادخر شيئًا مثل الأول، فإذا ما أراد أن يتناول فعليه أن يتناول الأقدم فالأقدم وهكذا.

الأمر السابع: إرشاد أهل مصر إلى ادخار بعض الحبوب في السنوات العجاف لبذرها وزرعها بعد انتهاء السنوات العجاف:

ويستمر عطاء سيدنا يوسف عليه السلام لأهل مصر وبذله المشورة وتحقيق النفع

(١) سورة يوسف آية ٤٧.

(٢) تفسير الثعالبي، السابق جـ٢ ص٢٤١.

لهم، وحتى تتكامل نظريته الاقتصادية أيضًا والمنوه عنها فيما سبق، فلم يكتف سيدنا يوسف عليه السلام بالجد والزراعة، وادخار الطعام وتركه في سنبله بعد حصده والتقليل في الأكل، وتناول الأقدم فالأقدم ... الخ كما سبق في الأمور الستة السابق الإشارة إليها، بل أراد عليه السلام أن تستمر حياتهم الزراعية بعد انتهاء عصر السنوات العجاف وهي سبع سنين، فأشار عليهم أن يدخروا جزءاً من الحبوب المدخرة في سنوات العجاف لكي يقوموا بزراعته بعد انتهاء هذه السنين، وذلك لكي تستمر الحياة، ولأن في استبقاء البذر تحصين الأقوات، إذ لو أنهم أكلوا كل ما ادخروه في سنوات الرخاء في السنوات العجاف دون أن يدخروا منه شيئًا لاستمرار العملية الزراعية بعد ذلك فكيف تتم؟

يشير إلى ذلك قول الحق تبارك وتعالى على لسان سيدنا يوسف عليه السلام: ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ﴾[1]، يقول الإمام الطبري في تأويل هذه الآية، ثم يجيء من بعد السنين السبع التي تزرعون فيها دأبًا سنون سبع شداد أي جدوب قحطة يأكلن ما قدمتم لهن أي يؤكل فيهن ما قدمتم في إعداد ما أعددتم لهن في السنين السبعة الخصبة من الطعام والأقوات[2]، ومن ثم فقد استدل بعض المفسرين بهذه الآية على جواز احتكار الطعام إلى وقت الحاجة[3].

هذا، وقد أجمع المفسرون[4] على أن المراد بقوله تعالى: ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ﴾ أي مما تحرزون وتحبسون وتدخرون من الحَبّ لزراعته بعد ذلك، لأن في استبقاء البذر تحصين الأقوات، فعن قتادة: مما تحصنون: مما تدخرون، وعن ابن

(١) سورة يوسف آية ٤٨.
(٢) يراجع: تفسير الطبري، السابق جـ١٢ ص٢٣١.
(٣) يراجع: تفسير القرطبي، السابق، جـ٤ ص٣٥٢٦.
(٤) يراجع: تفسير القرطبي، المرجع والمكان السابقان، تفسير الطبري المرجع والمكان السابقان، تفسير الشوكاني، السابق، جـ٣ ص٣١.

عباس: مما تحصنون: أي تخزنون، وقال ابن عباس وأبو عبيدة: تحصنون: تحرزون.. وعن السدي: مما تحصنون: مما ترفعون، ومن ثم يقول الإمام الطبري[1]: وهذه الأقوال في قوله: تحصنون وإن اختلفت ألفاظ قائليها فيه فإن معانيها متقاربة.

هذا وقد ذكر بعض المفسرين بأن قوله تعالى: ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ﴾[2] أصل في صحة رؤيا الكافر، وأنها تخرج على حسب ما رأى، لاسيما إذا تعلقت بمؤمن، فكيف إذا كانت آية لنبي، ومعجزة لرسول، وتصديقًا لمصطفى للتبليغ، وحجة للواسطة بين الله جل جلاله وعباده[3].

حقًا إن النظرية الاقتصادية التي وضع أسسها سيدنا يوسف عليه السلام نظرية كاملة متكاملة وجديرة بالمعرفة والتطبيق للاستفادة منها.

قيام سيدنا يوسف عليه السلام بزف بشرى لأهل مصر بعد انتهاء الأزمة الغذائية:

وإذا تدبرنا رؤيا ملك مصر وتأويل سيدنا يوسف عليه السلام لها نجد أنها تقف عند هذا الحد على ما ذكرناه في المبحثين السابقين، سبع بقرت سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات، فقام سيدنا يوسف عليه السلام بتفسيرها على ما رأينا، ولكن سيدنا يوسف عليه السلام ساق إليهم بشرى وخبرًا سارًا بعد انتهاء الأزمة الغذائية، هذا الخبر أو هذه البشرى لم تكن في رؤيا الملك، وإنما هذا مما علّمه الله لسيدنا يوسف عليه السلام يقول الحق تبارك وتعالى على لسان سيدنا يوسف عليه السلام: ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾[4]، يقول الإمام الطبري[1]

(١) يراجع: تفسير الطبري المرجع والمكان السابقان.
(٢) سورة يوسف آية ٤٨.
(٣) يراجع: تفسير القرطبي، المرجع والمكان السابقان، والمراد أن هذا التأويل قد جاء بناء على رؤيا الملك الكافر.
(٤) سورة يوسف آية ٤٩.

في تأويل هذه الآية: هذا خبر من يوسف عليه السلام للقوم عما لم يكن في رؤيا ملكهم، ولكنه من علم الغيب الذي آتاه الله دلالة على نبوته وحجة على صدقه .. فعن قتادة قال: ثم زاده الله علم سنة لم يسألوه عنها، فقال ثم يأتي من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس وفيه يعصرون.

ويعني بقوله: فيه يغاث الناس أي بالمطر والغيث، وفيه يعصرون: أي يعصر الناس ما كانوا يعصرون على عادتهم من الزيت ونحوه كالسمسم والعنب والزيتون .. وعن ابن عباس: أي ويعصرون من كل الثمرات، حتى قال بعضهم يدخل فيه: حلب اللبن أيضًا.

جزاء قيام سيدنا يوسف عليه السلام بتأويل رؤيا ملك مصر وحل أزمة الغذاء:

إن من يمعن النظر في آيات سورة يوسف يجد أن جزاء سيدنا يوسف عليه السلام بقيامه بتأويل رؤيا الملك وحل أزمة الغذاء[٢] يتمثل في منحتين أو مكافأتين هما:

(١) خروج سيدنا يوسف عليه السلام من السجن.

(٢) تولية سيدنا يوسف عليه السلام منصبًا من مناصب الوزارة.

علمًا بأن هاتين المكافأتين لسيدنا يوسف عليه السلام كانت بفضل تقواه وصبره، وصدق الله العظيم إذ يقول على لسان سيدنا يوسف عليه السلام حينما دار حوار بينه وبين إخوته ﴿قَالُوٓاْ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُۖ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِي قَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَآۖ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾[٣].

أولاً: خروج سيدنا يوسف عليه السلام من السجن:

---

(١) يراجع: تفسير الطبري، السابق جـ١٢ ص٢٣٢، كما يراجع أيضًا في نفس المعنى تفسير القرطبي جـ٤ ص٣٥٢٧، تفسير الإمام الصنعاني، السابق جـ٢ ص٣٢٤، تفسير القرآن العظيم لابن كثير، السابق، جـ٢ ص٤٨١.

(٢) لأنه من المعلوم لدين جميعًا أن هذه الأزمة لا تشمل الإنسان فقط، بل الحيوان أيضًا، مما تؤدي إلى نقص في الثروة الزراعية والحيوانية معًا.

(٣) سورة يوسف آية ٩٠.

ولما رجع رسول الملك من عند سيدنا يوسف عليه السلام حاملاً إياه تأويل الرؤيا التي رآها ملك مصر كما سبق، وقام هذا الرسول بقص ما ذكره له يوسف للملك أعجب الملك بتأويل سيدنا يوسف عليه السلام لرؤياه، ومن ثم فقد أمر بطلبه على الفور، وخروجه من السجن، يقول الحافظ بن كثير: «هذه الرؤيا من ملك مصر مما قدَّر الله أنها كانت سببًا لخروج يوسف عليه السلام من السجن معززًا مكرمًا»(١)، ولكن سيدنا يوسف عليه السلام كان عزيز النفس فلم يفرح بخروجه من السجن، وإنما اشترط لخروجه من السجن أن تبرَّأ أولاً ساحته من تهمة مراودة امرأة العزيز له، وافتتان نساء مصر به، ومن ثم فبعد أن برِّئ سيدنا يوسف عليه السلام من التهم المنسوبة إليه خرج من السجن رافع الرأس موفور الكرامة، وعن ذلك يشير القرآن إلى هذا بقوله: ﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦٓ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ قَالَ ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسْـَٔلْهُ مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ ٱلَّٰتِى قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ۚ إِنَّ رَبِّى بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ﴿٥٠﴾ قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ قُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍ ۚ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٥١﴾ ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّى لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ﴾(٢).

يقول الإمام القرطبي في تفسير هذه الآيات: لقد أبى يوسف عليه السلام أن يخرج إلا أن تصحح براءته للملك مما قذف به، وأنه حبس بلا جرم، لأن يوسف عليه السلام كان صابرًا حليمًا، روي عن النبي ﷺ أنه قال: «يرحم الله أخي يوسف لقد كان صابرًا حليمًا ولو لبثت في السجن ما لبثه لأجبت الداعي ولم ألتمس العذر»، وقال ﷺ «لقد عجبت من يوسف وصبره وكرمه والله يغفر له حين سئل عن البقرات لو كنت مكانه لما أخبرتهم حتى أشترط أن يخرجوني ولقد عجبت منه حين أتاه الرسول ولو كنت مكانه لبادرتهم الباب». قال ابن عطية: كان هذا الفعل من يوسف عليه السلام أناة

(١) يراجع: تفسير القرآن العظيم لابن كثير، السابق، جـ٢ ص٤٨١.
(٢) سورة يوسف الآيات ٥٠ – ٥٢.

وصبرًا، وطلبًا لبراءة الساحة، وذلك أنه – فيما روي – خشي أن يخرج وينال من الملك مرتبة ويسكت عن أمر ذنبه صفحًا فيراه الناس بتلك العين أبدًا ويقولون: هذا الذي راود امرأة مولاه، فأراد يوسف عليه السلام أن يبيّن براءته، ويحقّق منزلته من العفّة والخير، وحينئذ يخرج للإحظاء[1] والمنزلة، فلهذا قال للرسول: ارجع إلى ربك وقل له ما بال النسوة، ومقصد يوسف عليه السلام إنما كان: وقل له يستقصي عن ذنبي، وينظر في أمري هل سجنت بحق أو بظلم، ونكب عن امرأة العزيز حُسن عشرة، ورعاية لزمام الملك العزيز له. فإن قيل: كيف مدح النبي ﷺ يوسف بالصبر والأناة وترك المبادرة إلى الخروج، ثم هو يذهب بنفسه عن حالة قد مدح بها غيره؟ فالوجه في ذلك أن النبي ﷺ إنما أخذ لنفسه وجهًا آخر من الرأي، له جهة أيضًا من الجودة، يقول: لو كنت أنا لبادرت بالخروج، ثم حاولت بيان عذري بعد ذلك، وذلك أن هذه القصص والنوازل هي معرّضة لأن يقتدي الناس بها إلى يوم القيامة، فأراد رسول الله ﷺ حمل الناس على الأحزم من الأمور وذلك أن تاركًا الحزم في مثل هذه النازلة، التارك فرصة الخروج من مثل ذلك السجن، ربما نَتَج له البقاء في سجنه، وانصرفت نفس مخرجه عنه، وإن كان يوسف عليه السلام أمن من ذلك بعلمه من الله، فغيره من الناس لا يأمن ذلك، فالحالة التي ذهب النبي ﷺ بنفسه إليها حالة حزم، وما فعله يوسف عليه السلام صبر عظيم وجلد[2].

أما قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ..﴾[3] فقد قيل بأن هذا من قول امرأة العزيز، وقيل: إنه من قول سيدنا يوسف عليه السلام[4]، وأيا كان الأمر

(١) للإحظاء من الحظ أى النصيب ويراد به هنا علو المكانة.
(٢) يراجع في كل ما سبق: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، جـ٤ ص٣٥٢٨ وما بعدها.
(٣) سورة يوسف آية ٥٢.
(٤) يراجع بالتفصيل في هذا الشأن: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، السابق جـ٤ ص٣٥٣١.

فالمهم أن سيدنا يوسف عليه السلام قد خرج من سجنه بعد أن بُرِّئت ساحته من التهم المنسوبة إليه كما سبق.

ثانيًا: تولية سيدنا يوسف عليه السلام منصبًا من مناصب الوزارة:

وكانت المكافأة الثانية لسيدنا يوسف عليه السلام من ملك مصر أن ولاَّه الملك مقاليد البلاد وأعطاه منصبًا من مناصب الوزارة[1] في الطعام والغذاء أو بلغة العصر وزارة التموين، قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦٓ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِى ۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ۝ قَالَ ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ ۖ إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾[2].

يقول الإمام القرطبي[3]: لما ثبت للملك براءته مما نسب إليه، وتحقق في القصة أمانته، وفهم أيضًا صبره وجلده عظمت منزلته عنده، وتيقن حسن خلاله قال: ﴿ٱئْتُونِى بِهِۦٓ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِى ۖ﴾، فانظر إلى قول الملك أولاً – حين تحقق علمه – ﴿ٱئْتُونِى بِهِۦٓ﴾ فقط، فلما فعل يوسف ما فعل ثانيًا قال: ﴿ٱئْتُونِى بِهِۦٓ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِى ۖ﴾، وقال الإمام الثعالبي[4]، روي أن يوسف عليه السلام لما خرج – أي من السجن – ووصف هذا الترتيب للملك – أي تأويل الرؤيا – وأعجبه أمره قال له الملك قد أسندت إليه تولي هذا الأمر في الأطعمة هذه السنين المقبلة، فكان هذا أول ما ولي يوسف، بل ذكر الإمام القرطبي[5]: بأن ملك مصر حينما استمع بنفسه إلى تأويل

(١) ومنصب الوزير منصب معروف ومتداول منذ آلاف السنين قال تعالى أيضًا حكاية على لسان سيدنا موسى عليه السلام ﴿وَاجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي* هَارُونَ أَخِي * اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي * وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي﴾ [سورة طه الآيت ٢٩-٣٢].

(٢) سورة يوسف آية ٥٤، ٥٥.

(٣) يراجع تفسير القرطبي، السابق، جـ٤ ص٣٥٣٣.

(٤) يراجع: تفسير الثعالبي، لسابق جـ٢ ص٢٤١.

(٥) يراجع: تفسير القرطبي، السابق جـ٤ ص٣٥٣٥.

يوسف عليه السلام لرؤياه قال له الملك: ومن لي بتدبير هذه الأمور؟ ولو جمعت أهل مصر جميعًا ما أطاقوا، ولم يكونوا فيه أمناء، فقال يوسف عليه السلام: ﴿ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ﴾ أي على خزائن أرضك.

فلسفة تولي المناصب العامة في الشريعة الإسلامية:

إن من ينظر في أمر تولي سيدنا يوسف عليه السلام لمقاليد البلاد أو خزائن مصر، يجد أن هذه التولية هي تكليف ومسئولية لعلمه بخطورة هذا الأمر – كما سبق – بقدر ما هي تكريم وتشريف له عليه السلام، ومن ثم نجد أن فلسفة تولي المناصب العامة في الشريعة الإسلامية هي في المقام الأول تكليف ومسئولية وتحمل أعباء بقدر ما هي تكريم أو تشريف – وكما سيتبيَّن ذلك من خلال شروط تولي المناصب العامة – يشهد لذلك قوله ﷺ فيما رواه عنه عبد الله بن عمر – رضي الله عنهما – «كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته: فالإمام الذي على الناس راع وهو مسئول عن رعيته، والرجل راع على أهل بيته وهو مسئول عن رعيته، والمرأة راعية على أهل بيت زوجها وولده وهي مسئولة عنهم، وعبد الرجل راع على مال سيده وهو مسئول عنه، ألا فكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته»(١).

بل إن المسئولية واجبة يوم القيامة لمن استرعي رعية هل قام بواجبه نحوهم وراعى هذا التكليف أم لا؟ يؤيد ذلك ما روي عنه ﷺ فيما رواه عنه عبد الله بن مسعود مرفوعًا: «إن الله عز وجل سائل كل ذي رعية فيما استرعاه أقام أمر الله

(١) أخرجه الإمام البخاري واللفظ له، يراجع: صحيح البخاري في كتاب الأحكام في باب قول الله تعالى: وأطيعوا الله والرسول وأولي الأمر منكم، حديث رقم ٦٦٠٥، ومسلم في كتاب الإمارة حديث رقم ٣٤٠٨، والترمذي في كتاب الجهاد حديث رقم ١٦٢٧، وأبو داود في سننه في كتاب الخراج والإمارة والفيء حديث رقم ٢٥٣٩، المكتبة العصرية – بيروت.

فيهم أم أضاعه حتى إن الرجل ليُسأل عن أهل بيته»[1]. وفي رواية أخرى عن أنس ابن مالك قال: قال رسول الله ﷺ «إن الله سائل كل راع عما استرعى حفظ ذلك أم ضيع»[2].

وجه الدلالة من هذه الأحاديث:

فقد دلت هذه الأحاديث على أن تولي المناصب في الشريعة الإسلامية لاسيما من يسترعى رعية هو تكليف ومسئولية في المقام الأول، وإلا لم يكن هناك حكمة أو فائدة من سؤال من استرعي عما استرعاه من الحفظ أو الضياع على الأقل يوم القيامة إن أفلت من مسئولية الدنيا.

شروط تولي المناصب العامة:

ومن الجدير بالملاحظة: أننا نجد أن سيدنا يوسف عليه السلام قد قنن شروط تولي المناصب العامة في كلمتين اثنتين ﴿إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ من أصغر مسئول في الدولة ووصولاً إلى منصب رئيس الدولة والذي يسمى في الشريعة الإسلامية بالولاية العظمى، ومن ثم نجد أن شروط تولي المناصب تنحصر في شرطين:

الشرط الأول: الحفظ:

وليس المراد بالحفظ هو من يحفظ مقالة أو أبياتًا شعرية أو عنده القدرة على الحفظ .. وهكذا، ولكن المراد بالحفظ إجمالاً العدالة والأمانة وذلك على النحو التالي[3]:

---

(١) أخرجه الإمام الطبراني في الكبير، يرجع: المعجم الكبير للطبراني جـ٩ ص١٧٢، تحقيق/حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة العلوم والحكمة، ط الثانية عام ١٤٠٤هـ.

(٢) أخرجه الإمام الطبراني في الأوسط، يراجع، المعجم الأوسط للطبراني جـ٢ ص١٩٨، تحقيق طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين، عام ١٤١٥هـ.

(٣) هذا وقد ضرب لنا سيدنا يوسف عليه السلام ونبينا محمد ﷺ وصحابته الأجلاء أروع الأمثلة التطبيقية لهذه الأوصاف السبعة مما يضيق المقام بذكرها، وقد ذكر أيضًا

(١) العدالة في توزيع العطايا والمنح الواردة للدولة بالسوية بين الرعية وكافة طبقات الشعب.

(٢) الأمانة وعدم استغلال المنصب بتلقي الرشوة.

(٣) الأمانة وعدم استغلال موارد الدولة المخصصة للمنفعة العامة في المصالح الشخصية.

(٤) الأمانة عدم استغلال المنصب باختلاس المال العام.

(٥) التفاني في خدمة الرعية بما يحقق أهداف المنصب.

(٦) العدالة في توقيع العقوبة كجزاء بما يتناسب مع الجرم.

(٧) العدالة في توقيع هذه العقوبة على شخص الجاني، فلا توقع على غيره وهو ما يعرف بشخصية العقوبة.

الشرط الثاني: العلم والخبرة بهذا المنصب:

وهو شرط بدهي، فلا يجوز أن يتولى إنسان منصبًا ما أيا كان حجمه وهو يجهل به، حتى ولو توافر فيه الأمانة والعدالة بأوصافهما السبعة والسابق ذكرها في الشرط الأول، لأنه ليست لديه خبرة فكيف يتحقق له النجاح في هذا المنصب، ولذلك فإن سيدنا يوسف عليه السلام لم يولّه ملك مصر إلا من أجل أنه توافر لديه العلم والخبرة بعد الأمانة والعدالة كما سبق.

الأحكام الفقهية والفوائد المستنبطة من هذه الآية:

ونجد أن قوله تعالى على لسان سيدنا يوسف عليه السلام ﴿قَالَ ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٞ﴾[1] قد أفاد أيضًا بعض الأحكام الفقهية والفوائد الجمة من هذه:

بعض الفقهاء بعضًا من هذه الشروط منهم الإمام الماوردي في كتابه الأحكام السلطانية والولايات الدينية ص٢٧، المكتبة التوفيقية بالقاهرة عام ١٩٧٨م.

(١) سورة يوسف آية ٥٥.

أولاً : أن ما نادت به التشريعات الوضعية منذ زمن قريب بتولية أو وضع الرجل المناسب في المكان المناسب أي حسب خبرة وعلم الشخص الموضوع في مكان ما ، فلا يوضع مثلاً شخص له خبرة بالزراعة في مجال الهندسة أو العكس وهكذا في بقية المجالات، قد قرره سيدنا يوسف عليه السلام منذ أكثر من ستة آلاف عام بقوله: ﴿إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ .

ثانيًا : إن شرط الحفظ والعلم بالمنصب والذين ذكرهما سيدنا يوسف عليه السلام كل منهما مرتبط بالآخر فهما لا ينفكان ، فلا يجوز الاكتفاء بأحدهما عن الآخر ، ومن ثم فلا يجوز أن يتولى من كان متصفًا بشرط الحفظ بالأوصاف السابق ذكرها وهو على غير علم بالمنصب، كما لا يجوز أن يتولى المنصب وهو على علم به ولكنه مفتقد لشرطي الحفظ وهما الأمانة والعدالة بأوصافهما السبعة كما سبق، لأنه سوف لا يؤتي المنصب ثماره حينئذ ، ولكن الأوْلى بل الأوجب فيمن يتولى المنصب أن يكون متصفًا بشرطي الحفظ والعلم كما سبق تفصيلاً .

ثالثًا : استدل أهل العلم[1] بهذه الآية بأنه يباح للرجل الفاضل أن يعمل لدى الرجل الفاجر ، والسلطان الكافر ، بشرط أن يعلم أنه يفوض إليه في فعل لا يعارضه فيه فيصلح منه ما شاء ، أو بمعنى آخر عمل ليس فيه حرمة ولا خطورة على دينه أو عرضه أو وطنه .. وهكذا .. وإلا فلا .

رابعًا : استدل العلماء[2] أيضًا بموجب هذه الآية على جواز أن يخطب[3] الإنسان عملاً يكون له أهلاً ، لاسيما إذا لم يوجد من هو أهل لذلك، لأن سيدنا يوسف عليه السلام حينما طلب الولاية علم أنه لا أحد يقوم مقامه في العدل

(١) يراجع في معنى ذلك الجامع لأحكام القرآن والمعروف بتفسير القرطبي السابق جـ٤ ص٣٥٣٨.

(٢) يراجع في معنى ذلك: المرجع السابق جـ٤ ص٣٥٣٨ وما بعدها.

(٣) يخطب: أي يطلب.

والإصلاح وتوصيل الفقراء إلى حقوقهم، فرأى أن ذلك فرضًا متعينًا عليه، فإنه لم يكن هناك غيره، وكذا الحكم اليوم، لو علم إنسان من نفسه أنه يقوم بالحق في القضاء أو الحسبة ولم يكن هناك من يصلح ولا يقوم من مقامه لتعيَّن ذلك عليه، ووجب أن يتولاها ويسأل ذلك، ويخبر بصفته التي يستحقها به من العلم والكفاية وغير ذلك كما قال يوسف عليه السلام، فأما لو كان هناك من يقوم بها ويصلح لها وعلم بذلك فالأولى ألا يطلب لقوله عليه السلام لعبد الرحمن: (لا تسأل الإمارة)(١) فإن في سؤالها والحرص عليها مع العلم بكثرة آفاتها وصعوبة التخلص منها دليل على أنه يطلبها لنفسه ولأغراضه، ومن كان هذا يوشك أن تغلب عليه نفسه فيهلك، وهذا معنى قوله عليه السلام: «وكل إليها» ومن أباها لعلمه بآفاتها، ولخوفه من التقصير في حقوقها وفرّ منها، ثم إن ابتلي بها فيرجي له التخلص منها وهو معنى قوله: «أعين عليها».

خامسًا: دلت هذه الآية أيضًا على أنه يجوز للإنسان أن يصف نفسه بما فيه من علم وفضل، وإن كان الإمام الماوردي قد قال: وليس هذا على الإطلاق في عموم الصفات، ولكنه مخصوص فيما اقترن بوصله، أو تعلق بظاهر من مكسب،

(١) والحديث نصه عن عبد الرحمن بن سمرة قال: قال رسول الله ﷺ: لا تسأل الإمارة فإنك إن عطيتها عن غير مسألة أعنت عليها، وإن أعطيتها عن مسألة وكلت إليها". أورده الإمام ابن الجارود النيسابوري في كتابه: المنتقى، يراجع: المنتقى من السنن المسندة للإمام بن الجارود أبو محمد النيسابوري جـ١ ص٢٥٠، حديث رقم ٩٩٨ في باب ما جاء في الأحكام تحقيق عبد الله عمر البارودي، مؤسسة الكتاب الثقافية، الطبعة الأولى عام ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م.

وممنوع منه فيما سواه، لما فيه من تزكية ومراءاة[1]، ولو ميزه الفاضل لكان أليق بفضله[2].

(١) وهو منهي عنه مصداقًا لقوله تعالى: ﴿فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾[سورة النجم آية ٣٢].

(٢) يراجع: تفسير القرطبي السابق، جـ٤ ص٣٥٣٩ وما بعدها.

الخاتمة

وقد ذكرت فيها :

أولاً : النتائج أو الدروس المستفادة من أزمة الغذاء التي وقعت في عهد سيدنا يوسف عليه السلام .

ثانيًا : نموذج تطبيقي على ذلك من الواقع المعاصر .

أولاً: النتائج أو الدروس والعبر المستفادة من أزمة الغذاء في عهد سيدنا يوسف عليه السلام

من يتأمل موضوع أزمة الغذاء الذي وقع في عهد سيدنا يوسف عليه السلام ، وكيف أنه قام بحل هذه الأزمة ، وكان حلاً ناجحًا كما سبق كان على إثره أن تولى عليه السلام مقاليد البلاد وزمام الأمور ، يجد أنه في هذه الأزمة وحلها دروسًا وعبرًا مستفادة ، لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ، وهي تعتبر في ذات الوقت نتائج لهذا البحث ، ولذلك فسوف نذكر في هذا المبحث الدروس والعبر المستفادة ، من هذه الأزمة وحلها ، متبعين ذلك بإعطاء نموذج تطبيقي من الواقع المعاصر .

(١) أن الجد في العمل والاستمرار فيه أمر مطلوب في كل الأمور تحصيلاً للتقدم والرقي ، لاسيما في الأمور المتعلقة بالزراعة من بذر وزرع وحرث .. الخ حتى نواجه هذا التزايد السكاني المستمر ، ومن ثم فإنه تطبيقًا لذلك لاسيما في الوقت المعاصر ، فإنه إذا كان هناك نوع من البذور يعطي كمية أوفر في وقت أسرع أو أقل وليس فيه ضرر فإنه يجب الأخذ به .

(٢) الأخذ بمبدأ الادخار والاقتصاد وعدم الإسراف أو التبذير في الاستهلاك ليس في الطعام والشراب فقط ولكن في كل الأمور استهلاكية كانت أو معمرة .

(٣) الحرص على ادخار الطعام الذي لا يقربه الفساد وهو الحبوب أو الغلال وتركها في سنبلها أو قشرها وإعداد مكان صالح للحفظ والادخار حسب

مواصفات التخزين .. وهكذا، لاسيما وأن العالم في المستقبل سيواجه أزمة في نقص الغذاء بسبب التزايد السكاني المستمر، فضلاً عن نقص المياه[1].

(٤) عدم الاقتراب من الشيء المدخر أيًّا كان نوعه عينًا كان أم نقدًا في وقت السعة والرخاء، إلا إذا دعت حاجة إلى ذلك، وهذا هو الهدف الحقيقي من الادخار، أي ادخار جزء مما يملكه الإنسان من أموال عينية أو نقدية في وقت السعة والرخاء للاستعانة والانتفاع به في وقت الحاجة.

(٥) على الإنسان فردًا كان أم هيئة في حالة ادخاره لأموال عينية أيا كان نوعها ومسماها، ولاسيما إذا كانت نوعًا من الطعام في حالة استعماله لهذا الطعام أن يبدأ بالأقدم فالأقدم .. وهكذا، حتى يتمكن من الانتفاع بالجميع في كل الأوقات.

(٦) بالتقوى والصبر يصل الإنسان إلى غايته بما قُدِّر له من قِبَل المولى عز وجل، وذلك كما حدث لسيدنا يوسف عليه السلام، فقد كان بفضل تقواه وصبره

(١) حيث أجريت دراسات ميدانية تبين من خلالها أن نصيب الفرد من الأرض الزراعية يختلف من دولة لأخرى، فبينما يرتفع في دولة نجده ينخفض في أخرى، فنصيب الفرد من الأرض الزراعية في مصر حوالي ٨/١ فدان وقت أن كان عدد سكانها ٦٠ مليون نسمة، ومساحة الأرض الزراعية ٨ر٧ مليون فدان، أما الآن وبعد أن وصل عدد سكان مصر ما يربو على سبعين مليون نسمة فيكون نصيب الفرد أقل من ٨/١ بكثير، أما نصيب الفرد في أوربا فيصل إلى ٤ر١ فدان للفرد، أما في أمريكا فإن نصيب الفرد مرتفع للغاية فهو يصل إلى ٧ر١ فدان للفرد، أما متوسط الفرد من الأرض الزراعية على مستوى العالم نصف فدان، وفي إسرائيل أربعة قراريط ونصف، وفي الصين ستة قراريط، وفي الهند اثنى عشر قيراطًا، وفي أمريكا أربعين قيراطًا، ومن ثم فإن من الجدير بالملاحظة: أن التقدم والثروة والقوة تأتي غالبًا من إنتاج زراعي وفير، يكفي السكان ويفيض، وبعد حصول الفرد على حاجته من الغذاء، يمكن أن يعمل ويفكر ويبدع، فالتفوق والرقي لا يأتي مصادفة. يراجع في معنى ذلك د/جمال صلاح الدين – مصر المستقبل توشكا .. سيناء – ص١٠ والهامش، الهيئة المصرية العامة للكتاب عام ١٩٩٩م.

أن أخرج من السجن، وتبوأ مكانة عالية، ومنزلة رفيعة مما عوضه عما فاته من حرمانه من أبيه، وبما أنساه فترة السجن والابتلاءات التي حاقت به، وكما سبق أن ذكرناه في التمهيد، وصدق الله العظيم إذ يقول على لسان سيدنا يوسف عليه السلام حينما دار حوار بينه عليه السلام وبين إخوته: ﴿قَالُوٓاْ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُۖ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِيۖ قَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَآۖ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾[1].

(٧) أن فلسفة تولي الشخص المناصب العامة في الشريعة الإسلامية، وكما استنبطناها من تولية سيدنا يوسف عليه السلام خزائن مصر، تكمن في أنها تكليف ومسئولية بقدر ما هي تكريم أو تشريف له.

(٨) ليس كل شخص كفئًا لأن يتولى المناصب العامة، وإنما يتولاها وكما قرر سيدنا يوسف عليه السلام من يتوافر فيه شرطي الحفظ وأعني به العدالة والأمانة بأوصافهما السبعة كما سبق، فضلاً عن شرط العلم والخبرة، وأن كلاً من هذين الشرطين مرتبط بالآخر، فلا يجوز الاكتفاء بأحدهما عن الآخر حتى يؤتى الشخص المولَّى في هذا المنصب ثماره المرجوة منه.

(٩) إن في قوله تعالى على لسان سيدنا يوسف عليه السلام لملك مصر: ﴿قَالَ ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٞ﴾[2] أحكامًا فقهية عديدة منها:

أ- جواز أن يعمل الرجل الفاضل لدى الرجل الفاجر أو السلطان الكافر بشرط ألا يكون هذا العمل فيه خطورة أو مضرة على دينه أو عرضه أو وطنه .. الخ وإلا فلا.

ب- جواز أن يطلب الإنسان عملاً يكون له أهلاً، لا سيما إذا لم يوجد من هو أهل لذلك.

(١) سورة يوسف آية ٩٠.
(٢) سورة يوسف آية ٥٥.

ج- جواز أن يصف الإنسان نفسه بما فيه من علم وفضل، إذا كان مجردًا عن الهوى والمراءاة، ودعت الضرورة لذلك كأن تعلق بظاهر من مكسب مثلاً كما يقول الإمام الماوردي وممنوع في غير ذلك لما فيه من تزكية ومراءاة.

ثانيًا: نموذج تطبيقي من الواقع المعاصر «أزمة المياه في مصر وما يترتب عليها»:

ومن الممكن أيضًا أن نستفيد من أزمة الغذاء التي وقعت في عهد سيدنا يوسف عليه السلام وكيف أنه قام بحلها في حياتنا المعاصرة، فنحن قد قرأنا وسمعنا في الآونة الأخيرة، أنه بعد عدة سنوات قلت أم كثرت بأن مصر ستواجه أزمة في المياه بسبب ندرة المياه، وما أدراك ما هي الأزمة؟

إنها تؤدي إلى نقص وفقر في الثروة الزراعية والحيوانية والصناعية، والتي تحتاج كل منها إلى مياه، وهذا بالطبع سيؤثر على الإنسان في كافة المجالات لاسيما على غذائه ومن ثم فسوف نذكر أولاً أسباب هذه المشكلة، متبعين ذلك بعلاج لها والتي تعتبر من هدي بعض الدروس المستفادة من أزمة الغذاء التي وقعت في عهد سيدنا يوسف عليه السلام .

أولاً: أسباب مشكلة نقص المياه في مصر:

ومن خلال الدراسات والأبحاث التي أجريت تبيَّن أن مشكلة نقص المياه التي ستواجهها مصر مستقبلاً تتلخص في:

(١) ثبات المقدار المتاح لمصر من المياه منذ توقيع اتفاقية عام ١٩٥٩م وحتى الآن لتوزيع المياه بين دول حوض نهر النيل:

(أ) حيث إنه من الثابت علميًا بأن طول نهر النيل ٦٦٩٠ كيلومتر، ومساحته ٢٫٩٠٠٫٠٠٠ كيلومتر مربع ويمر بإحدى عشرة دولة

تسمى بدول حوض نهر النيل وهي: تنزانيا، كينيا، زائير، بروندي، رواندا، أثيوبيا، أوغندة، الكنغو، أرتريا، السودان، مصر[1].

(ب) وفي الثامن من نوفمبر عام ١٩٥٩ تم توقيع اتفاقية بين كل من الجمهورية العربية المتحدة وجمهورية السودان على مقدار ما يخص كل دولة من حصته من مياه نهر النيل وكان نصيب السودان ١٨ر٥٠ مليار متر مكعب سنويًا، ولمصر ٥٥ر٥٠ مليار متر مكعب سنويًا طبقًا لعدد سكان كل دولة آنذاك[2]، تستهلك الصناعة فقط من هذه الحصة ما يقرب من مائة إلى ٤١٢ مليون متر مكعب سنويًا[3].

(ج) قام خبراء المياه في العالم بوضع حدود لخط الفقر المياهي وهو أن استهلاك الفرد يجب ألا يقل عن ألف متر مكعب سنويًا[4].

(د) وطبقًا للاتفاقية سالفة الذكر كان نصيب الفرد من المياه وقتها يزيد عن ضعفي هذا الحد، بحيث كان يتجاوز ألفين متر مكعب، لأن عدد السكان وقتها كان لا يتجاوز خمس وعشرين مليون نسمة، أما الآن في عام ٢٠٠٤م وقد أصبح عدد سكان مصر يربو على السبعين

(١) يراجع: الأستاذ/محمد السيد أرناؤوط – الإنسان وتلوث البيئة – ص ١٤٤، الهيئة المصرية العامة للكتاب عام ١٩٩٩م، وذلك نقلاً عن: بنك المعلومات بكلية زراعة مشتهر – جامعة الزقازيق.

(٢) يراجع: في نص هذه الاتفاقية بالكامل ما أورده الأستاذ/عبد الرحمن الرافعي في كتابه – ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ تاريخنا القومي في سبع سنوات ١٩٥٢-١٩٥٩م ص ٤٦٢-٤٦٤، مكتبة النهضة المصرية، الطبعة الأولى عام ١٣٧٩هـ – ١٩٥٩م.

(٣) يراجع في ذلك: أ/جمال صلاح الدين – مصر المستقبل – توشكا .. سيناء – المرجع السابق، ص٩٦ وما بعدها، أ/محمد السيد أرناؤوط – الإنسان وتلوث البيئة – السابق ص ١٤٤، وذلك نقلاً عن بنك المعلومات بكلية زراعة مشتهر بجامعة الزقازيق.

(٤) يراجع: أ/محمد السيد أرناؤوط، السابق، ص ١٤٥.

مليونًا، فمعنى ذلك أن نصيب الفرد سيقل عن هذا الحد بما لا يتجاوز عن ٧٠٠ر٠٠٠ ألف متر مكعب تقريبًا بل وفي عام ٢٠٢٥ سوف يكون نصيب الفرد أقل من الربع، وسيتدرج إلى الأقل من ذلك كلما ازداد حجم السكان، مما يضطرنا إلى الاستعانة بالمياه الجوفية «الآبار» مما يجعلنا نقرر بأن مصر بلد فقير من حيث المياه.

(٢) من أسباب نقص المياه أيضًا في مصر تزايد النمو السكاني عامًا بعد عام، بل ويومًا بعد يوم، وقد أثبتت الإحصاءات أن سكان مصر يتزايدون مليون نسمة في كل عام مما يؤدي إلى زيادة الاستهلاك.

(٣) إسراف بعض المستهلكين في استخدامهم للمياه، أو تركهم للآلات المستخدمة في المياه بدون صيانة أو إصلاح في حالة تلفها.

(٤) زيادة التلوث في نهر النيل من مخلفات بشرية أو حيوانية أو زراعية، أو صناعية، أو إشعاعية .. الخ.

(٥) عدم تطبيق التشريعات القانونية الحالية بشكل كاف[١] لمن يقوم بتلويث المياه، ولاسيما مياه الشرب.

(٦) زراعة بعض المحاصيل التي تحتاج إلى كمية وفيرة من المياه بكميات كبيرة وذلك كالأرز مثلاً.

(١) حيث نرى أن التشريعات أو القوانين التي صدرت لحماية مياه نهر النيل غير نافذة المفعول، بل وغير كافية لإسباغ الحماية اللازمة لهذه المياه من التلوث، لأن التلوث ما زال موجودًا حتى الوقت الحالي، بالرغم من صدور القانون رقم ٤٨ لسنة ١٩٨٢ في شأن حماية نهر النيل والمجاري المائية من التلوث، وقرار رئيس الجمهورية رقم ٢٦١ لسنة ١٩٨١ بإنشاء الهيئة المصرية لحماية الشواطئ، وقانون حماية البيئة رقم ٤ لسنة ١٩٩٤م، وقرار رئيس الوزراء رقم ١٣٩٤ لسنة ١٩٩٩ بشأن الحفاظ على رونق نهر النيل .. إلى غير ذلك من القوانين والقرارات، ولكن للأسف فهي دون جدوى مما يتطلب وبصفة فورية تدخل المشرِّع لإصدار عقوبات رادعة على من يقوم بإحداث التلوث بمياه نهر النيل.

(٧) تعتبر مصر ومن خلال الدراسات والأبحاث التي أجريت بأنها ليست من الدول ذات الأمطار لأنها بلد قليل الأمطار، وذلك بالمقارنة بأوربا، ومن ثم فلا يمكن الاعتماد على المطر في ري المزروعات، كما يحدث في دول شمال أوربا وأمريكا واستراليا، حيث أغلب زراعات هذه الدول على المطر[١].

علاج مشكلة نقص المياه في مصر:

ويأتي علاج مشكلة نقص المياه من خلال إتباع الآتي:

(١) دعوة مصر لمطالبتها بتعديل اتفاقية عام ١٩٥٩م سالفة الذكر بزيادة نصيب حصتها بدلاً من ٥٥ مليار ونصف متر مكعب من المياه سنويًا بما يتناسب مع الزيادة السكانية الحالية والمستقبلية.

(٢) عدم إلقاء أي قاذورات في مياه النيل كالقمامة وغيرها.

(٣) تخصيص مجرى خاص لمياه الصرف الصحي وعدم إلقائها في نهر النيل.

(٤) إمكان معالجة وتكرير مياه الصرف الصحي وتنقيتها لإعادة استخدامها مرة أخرى في الزراعة أو لري غابات من الأشجار غير المثمرة أو لتوليد الطاقة الكهربائية[٢].

(٥) عدم إلقاء مخلفات الصناعة التي تلوث المياه، فضلاً عن احتواء هذه المخلفات الصناعية على مواد خطرة وسامة يصعب التخلص منها كالسيانور والفينول أو المركبات الكيماوية.

(٦) عدم إلقاء أي مخلفات زراعية في مياه نهر النيل وذلك كالمبيدات الحشرية.

(٧) المحافظة على مياه نهر النيل من كل ما يؤدي إلى تلوثها من مصدر بشرية وحيوانية، وذلك مثل الاستحمام في الأنهار للإنسان والحيوان، وقيام بعض

---

(١) يراجع في عدم اعتبار مصر من الدول المطيرة: أ/جمال صلاح الدين، السابق ص٢٠.

(٢) يراجع تفصيلاً في محاولة تكرير مياه الصرف واستخدامها في الزراعة وتوليد الطاقة الكهربائية الأستاذ/محمد السيد أرناؤوط، السابق ص١٥٤-١٦٠.

النساء في الريف بغسل الأواني والملابس بالصابون، وكذلك إلقاء جثث الحيوانات النافقة[1] في مياه النيل أو التبول فيها ..الخ.

(٨) عدم تلوث مياه نهر النيل بأية مصادر نباتية: حيث يتكاثر بعض النباتات المائية مثل ورد النيل وهو من الحشائش المائية الضارة التي تسد القنوات والترع وروافد نهر النيل في كل أرض مصر والنبات الواحد يتضاعف ١٥٠ مرة خلال ثلاثة أشهر، ووجوده الكثيف في أي مسطح مائي يعوق الملاحة وحركة السفن ويستهلك جزء من مياه النيل، كما يوفر مناخًا مواتيًا لنمو الكائنات التي تلعب دورًا هامًا في أمراض عديدة كالبلهارسيا والملاريا والدودة الكبدية، كما يعرِّض الثروة السمكية للموت[2].

(٩) عدم تلوث مياه نهر النيل بمصادر إشعاعية: مثل الملوثات الإشعاعية الموجودة في مياه تبريد المحطات النووية (في الدول التي تستعملها) فكل هذه الملوثات عندما تصل إلى المياه يذوب بعضها ويتعلق في صورة معادن ثقيلة كالرصاص والنيكل والكادميوم والزرنيخ والزئبق والكوبالت والألومنيوم تسبب عند وصولها إلى جسم الإنسان أمراض خطيرة فمثلاً الكربون يؤثر على القلب والرئة، والزئبق والكادميوم يؤثر على الكلى وخلافه.

كما أن الأمراض المتسببة عن تراكم هذه المعادن ترجع خطورتها إلى عدم ظهورها فور التعرض لها. وإنما تظهر بعد مدد طويلة وتؤثر تأثيرًا سيئًا على الجسم، لذلك يجب العمل على رفع الوعي البيئي لدى القاعدة الشعبية العريضة بمصادر التلوث للمياه، وكيفية الحد من فاقد مياه الشرب وترشيد الاستهلاك في المساكن والمصانع وكذلك رفع مفاهيم البيئة والحد من تلوثها[3].

---

(١) النافقة: الهالكة.

(٢) يراجع في البند رقم ٥-٨ أ/محمد السيد أرناؤوط، السابق ص ١٤٦،١٤٧ بتصرف.

(٣) يراجع في ذلك أ/محمد السيد أرناؤوط، السابق ص١٤٨،١٤٧.

(١٠) تعديل التشريعات القانونية الحالية لتوقيع عقوبات رادعة وزاجرة على كل من يضبط بتلويث نهر النيل، أو يقوم بإلقاء مخلفات فيه بأي نوع كان بشرية أو حيوانية، أو زراعية، أو صناعية.

(١١) استخدام طرق الري الحديثة بما يؤدي إلى وفرة أكبر قدر من المياه المستخدمة للري بما يستتبع ري أكبر عدد من الأراضي الزراعية.

(١٢) استخدام المياه الجوفية «الآبار» في الزراعة والصناعة لتخفيف العبء عن مياه نهر النيل وجعلها بقدر المستطاع للشرب فقط.

(١٣) تعويض نقص مياه الشرب أيضًا عن طريق المياه الجوفية أيضًا إن تطلَّب الأمر ذلك.

(١٤) قلة الاستهلاك وعدم الإسراف والتبذير، فقد نهتنا الشريعة الغراء عن الإسراف في المياه حتى ولو كان الإنسان يتوضأ من نهر جار، فعن عبد الله ابن عمرو أن رسول الله ﷺ «مرّ بسعد وهو يتوضأ، فقال: ما هذا السرف، فقال: أفي الوضوء إسراف، قال: نعم وإن كنت على نهر جار»[1]. أي ما يقع منك من الماء ويعود للنهر مرة أخرى.

(١٥) صيانة الآلات المستخدمة في المياه وإصلاح ما تلف منها.

(١٦) زراعة المحاصيل التي تحتاج إلى مياه غزيرة كالأرز مثلاً[2] في هذا الوقت

(١) أخرجه الإمام ابن ماجة في سننه جـ١ ص١٤٧ رقم ٤٢٥ في باب ما جاء في القصد في الوضوء.

(٢) حيث ثبت علميًا وزراعيًا أن فدان الأرز يحتاج إلى تسعة آلاف متر مياه، وأنه حاليًا نقوم بزراعة ١.٥٠ مليون فدان سنويًا، ومن ثم فإنه يمكن توفير نحو ثلاثة مليارات متر مكعب من المياه سنويًا بتخفيض المساحات المنزرعة أرز من ١٫٦ مليون فدان إلى ٩٠٠ ألف فدان عام ١٩٩٧ ثم إلى ٧٠٠ ألف فدان عام ٢٠٠٠م وهكذا. =

الحالي وتخزينه في سنبله ليكون أبعد عن الفساد ويمكث أطول فترة من الزمن، وذلك للاستفادة به في الأعوام التي يقل فيها، ومن ثم فلا يزرع في هذه الأعوام المحاصيل التي تحتاج إلى مياه كثيرة، بل يزرع فقط المحاصيل التي تحتاج إلى مياه قليلة جدًا، مع ملاحظة أنه في تناول المحصول المدخر أن يتناول الأقدم فالأقدم وهذا كله من أعظم الدروس المستفادة من أزمة الغذاء في عهد سيدنا يوسف عليه السلام وتطبيقها على الواقع المعاصر.

(١٧) استخدام هذا التزايد السكاني – فهو في حد ذاته ثروة – لاسيما مع كثرة الخريجين وعدم توافر فرص عمل لهم – في مجال زراعة الأرض واستصلاح بعض الأراضي الصحراوية، أو إشراكهم في عمليات معالجة مياه الصرف الصحي، بدلاً من ترك هذه الأيدي معطلة وعبئًا على الدولة في كافة المجالات لاسيما المأكل والمشرب والملبس والمسكن .. الخ.

ولذلك أرى توجيه الموارد المالية المخصصة لتنظيم الأسرة أو جزء منها في توفير مجالات فرص عمل لهؤلاء الشباب، لأن الزيادة السكانية لا تنقطع حتى ولو تم تقييد كل أسرة بطفل واحد.

ومن ثم فقد رأينا كيف أن أزمة الغذاء التي وقعت في عهد سيدنا يوسف عليه السلام والدروس المستفادة منها يمكن تطبيقها وعلى هدى هذه الدروس أو بما يتناسب منها، مع توقع أزمة المياه المستقبلة في مصر والتي لها تأثيرها على الإنسان والحيوان معًا أو الثروة الزراعية والحيوانية والصناعية معًا.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

= يراجع تفصيلاً في ذلك: د.محمد ندا – توشكي – أرض الآباء – مستقبل الأبناء ص٣٤، الهيئة المصرية العامة للكتاب عام ١٩٩٨م، أ/جمال صلاح الدين، السابق ص ٢٣.

مصادر البحث

أولاً: القرآن الكريم وعلومه.

(١) القرآن الكريم.

(٢) تفسير سفيان الثوري للإمام/أبي عبد الله سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري المتوفى ١٦١هـ، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى عام ١٤٠٣هـ.

(٣) تفسير القرآن للإمام عبد الرزاق بن همام الصنعاني المولود ١٢٦هـ والمتوفى ٢١١هـ، مكتبة الرشد بالرياض – تحقيق د/مصطفى مسلم محمد، الطبعة الأولى عام ١٤١٠هـ.

(٤) جامع البيان عن تأويل آي القرآن للإمام أبي جعفر محمد بن جرير بن يزيد ابن خالد الطبري المولود ٢٢٤هـ والمتوفى ٣١٠هـ، دار الفكر بيروت عام ١٤٠٥هـ.

(٥) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز للإمام أبي الحسن علي بن أحمد الواحدي المتوفى عام ٤٦٨هـ، تحقيق/صفوان عدنان داوودي، الطبعة الأولى عام ١٤١٥هـ – دار القلم – الدار الشامية – دمشق – بيروت.

(٦) معالم التنزيل للإمام أبي محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي المتوفى ٥١٦هـ تحقيق/خالد العك، مروان سوار، الطبعة الثانية عام ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م، دار المعرفة بيروت.

(٧) زاد المسير في علم التفسير للإمام/عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي المولود ٥٠٨هـ والمتوفى ٥٩٧هـ الطبعة الثالثة عام ١٤٠٤هـ، المكتب الإسلامي – بيروت.

(٨) الجامع لأحكام القرآن للإمام/شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري القرطبي، المتوفى ٦٧١هـ، دار الغد العربي بالقاهرة، الطبعة الثانية عام ١٤١٦هـ – ١٩٩٦م.

(٩) تفسير القرآن العظيم للإمام الحافظ أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي المتوفى عام ٧٧٤هـ، دار الفكر بيروت عام ١٤٠١هـ.

(١٠) الجواهر الحسان في تفسير القرآن للإمام عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات – بيروت بدون تاريخ.

(١١) إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الحكيم للإمام محمد بن محمد العمادي أبي السعود المتوفى ٩٥١هـ، دار إحياء التراث العربي – بيروت – بدون تاريخ.

(١٢) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير للإمام/محمد بن علي بن محمد الشوكاني، المولود ١١٧٣هـ والمتوفى ١٢٥٠هـ، دار الفكر بيروت بدون تاريخ.

(١٣) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للإمام/أبي الفضل محمود الألوسي، المتوفى ١٢٧٠هـ دار إحياء التراث العربي – بيروت.

ثانيًا: الحديث وشروحه:

(١٤) صحيح البخاري: للإمام/أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري المتوفى سنة ٢٥٦هـ، تحقيق د .مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، اليمامة الطبعة الثالثة عام ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م.

(١٥) صحيح مسلم: للإمام/أبي الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري المتوفى سنة ٢٦١هـ، تحقيق/محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية عام ١٩٨٥م.

(١٦) المستدرك على الصحيحين للإمام/محمد بن عبد الله أبي عبد الله الحاكم النيسابوري، المولود ٣٢١هـ والمتوفى ٤٠٥هـ، تحقيق/ مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى عام ١٤١١هـ – ١٩٩٠م.

(١٧) سنن الترمذي للإمام/أبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة المتوفى ٢٩٧، دار الحديث بالقاهرة.

(١٨) سنن أبي داود: للحافظ أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني الآزدي، المتوفى ٢٧٥هـ، المكتبة العصرية/بيروت.

(١٩) سنن ابن ماجه: لأبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني بن ماجة المتوفى ٢٧٥هـ، تحقيق/محمد فؤاد عبد الباقي، دار الريان للتراث.

(٢٠) السنن الكبرى: للإمام/أبي بكر أحمد بن الحسين ابن علي البيهقي المتوفى ٤٥٨هـ، دار الفكر- بيروت.

(٢١) فتح الباري شرح صحيح البخاري: للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، المتوفى سنة ٨٥٢هـ، المكتبة السلفية بالقاهرة.

(٢٢) كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال: للإمام علاء الدين علي المتقي ابن حسام الدين، دار المعرفة – بيروت – لبنان.

(٢٣) المعجم الصغير: والمسمى بالروض الداني للإمام/الحافظ أبي القاسم سليمان ابن أحمد الطبراني، تحقيق/محمد شكور محمود الحاج، المكتب الإسلامي دار عمار، الطبعة الأولى عام ١٤٠٥هـ.

(٢٤) المعجم الأوسط: للحافظ أبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني تحقيق/طارق ابن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين، عام ١٤١٥هـ.

(٢٥) المعجم الكبير: للحافظ أبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني تحقيق/حمدي ابن عبد المجيد السلفي، مكتبة العلوم والحكم، الطبعة الثانية عام ١٤٠٤هـ.

(٢٦) سبل السلام شرح بلوغ المرام من جمع أدلة الأحكام للإمام/محمد ابن إسماعيل الكحلاني ثم الصنعاني المعروف بالأمير المولود سنة ١٠٥٩هـ والمتوفى سنة ١١٨٢هـ، دار الكتب العلمية – بيروت.

(٢٧) المنتقى: للإمام/عبد الله بن علي بن الجارود أبو محمد النيسابوري المتوفى ٣٠٧هـ تحقيق/عبد الله عمر البارودي، مؤسسة الكتاب الثقافية، الطبعة الأولى عام ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م.

ثالثًا: كتب في اللغة:

(٢٨) مختار الصحاح للشيخ الإمام/محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي رحمه الله، عني بترتيبه/السيد محمود خاطر، دار التراث العربي للطباعة والنشر.

رابعًا: كتب الفقه الإسلامي:

(أ) الفقه المالكي:

(٢٩) بلغة السالك لأقرب المسالك للشيخ/أحمد بن محمد الصاوي المالكي، دار المعرفة – بمصر.

(٣٠) حاشية الدسوقي على الشرح الكبير للإمام/محمد عرفة الدسوقي تحقيق الشيخ/محمد عليش، دار الفكر – بيروت.

(٣١) الشرح الصغير للإمام/أحمد بن محمد بن أحمد العدوي أبو البركات الدردير، المولود ١١٢٧هـ والمتوفى عام ١٢٠١هـ، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، عام ١٤٠٥هـ – ١٩٨٤م.

(ب) الفقه الشافعي:

(٣٢) الأحكام السلطانية والولايات الدينية للإمام/أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري الماوردي المتوفى عام ٥٤٠هـ، المكتبة التوفيقية بالقاهرة عام ١٩٧٨م.

(جـ) الفقه الحنبلي :

(٣٣) الروض المربع شرح زاد المستقنع للعلاَّمة/منصور بن يونس ابن صلاح الدين ابن حسن بن إدريس البهوتي المولود عم ١٠٠٠هـ والمتوفى عام ١٠٥١هـ، الشركة المصرية للطباعة والنشر عام ١٣٩٢هـ – ١٩٧٢م.

خامسًا : مؤلفات فقهية حديثة :

(٣٤) الموسوعة الفقهية الصادرة عن وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بدولة الكويت، وقد قام بوضعها نخبة من علماء الفقه الإسلامي، الطبعة الثانية عام ١٤٠٩هـ – ١٩٨٩م، طباعة ذات السلاسل – الكويت.

(٣٥) فقه السجون والمعتقلات للدكتور/أبو سريع محمد عبد الهادي – دار الاعتصام بالقاهرة عام ١٩٩٣م.

سادسًا: كتب في التاريخ والسير:

(٣٦) تاريخ الأمم والملوك والمعروف بتاريخ الطبري للإمام/أبي جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري المولود ٢٢٤هـ والمتوفى ٣١٠هـ، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى عام ١٤٠٧هـ.

(٣٧) الكامل في التاريخ للعلاَّمة/محمد بن محمد به عبد الواحد الشيباني والمعروف بابن الأثير والمتوفى عام ٦٣٠هـ، تحقيق/أبو الفداء عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية/بيروت، الطبعة الثانية عام ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م.

(٣٨) البداية والنهاية للحافظ/أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي – المتوفى عام ٧٧٤هـ، دار الفكر العربي بالقاهرة.

(٣٩) ثورة ٢٣ يوليو تاريخنا القومي في سبع سنوات ١٩٥٢ – ١٩٥٩م للأستاذ/عبد الرحمن الرافعي، مكتبة النهضة المصرية، الطبعة الأولى عام ١٣٧٩هـ – ١٩٥٩م.

سابعًا: مؤلفات عامة وحديثة:

(٤٠) التعريفات للإمام/علي بن محمد بن علي الجرجاني، تحقيق الأستاذ/إبراهيم الإبياري، [دار الريان للتراث عام ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م].

(٤١) تعطير الأنام بتفسير الأحلام للشيخ/عبد الغني النابلسي، دار إحياء الكتب العربية بمصر – عيسى الحلبي.

(٤٢) من هدي النبوة للأستاذ/محمد رجائي عطية، الهيئة المصرية العامة للكتاب عام ٢٠٠٠م.

(٤٣) مصر المستقبل – توشكا للأستاذ/جمال صلاح الدين، الهيئة المصرية العامة للكتاب عام ١٩٩٩م.

(٤٤) الإنسان وتلوث البيئة للأستاذ/محمد السيد أرناؤوط، الهيئة المصرية العامة للكتاب عام ١٩٩٩م.

ثامنًا: كتب الأديان الأخرى:

(٤٥) الكتاب المقدس – العهد القديم "التوراة".

تاسعًا: رسائل جامعية:

(٤٦) المسئولية الناشئة عن الضرر الأدبي. دراسة مقارنة بين الفقه الإسلامي والقانون الوضعي – رسالة دكتوراه للباحث الدكتور/أسامة السيد عبد السميع، كلية الشريعة والقانون بالقاهرة – جامعة الأزهر، عام ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م.

عاشرًا: قوانين وقرارات[1]:

(٤٧) قرار رئيس الجمهورية رقم ٢٦١ لسنة ١٩٨١ بإنشاء الهيئة المصرية لحماية الشواطئ.

(٤٨) القانون رقم ٤٨ لسنة ١٩٨٢م في شأن حماية نهر النيل والمجاري المائية من التلوث.

(١) وقد راعيت فيها الترتيب الزمني.

(٤٩) قانون حماية البيئة رقم ٤ لسنة ١٩٩٤م.

(٥٠) قرار رئيس الوزراء رقم ١٣٩٤ لسنة ١٩٩٩ بشأن الحفاظ على رونق نهر النيل.

تم بحمد الله تعالى

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين